فلسفةُ الابْتلاء في المشروع المَهدوي

رؤيةٌ قرآنية حديثيّة

◆ محمد عبد الحسين الخالدي[1]

■ **خلاصة**

تُعتبر سُنّة الابتلاء من السُّنن المهمة والفاعلة في الساحة التاريخية لبناء المجتمعات، وقد حاول البحث تسليط الضوء على تأثيرها وفاعليتها في بيان الغايات التي تسعى لتحقيقها في إطار المشروع المهدوي.

وذلك من خلال دراسة تحليلية للآيات والروايات المتعلقة بالقضية المهدوية، وقد انتهى البحث إلى نتائج مهمة، ترجع إلى بيان أبعاد المشروع المهدوي، ومدى ارتباطها بالحركة التمحيصيّة للابتلاء في المجتمع الإنساني، منذ الأنبياء السابقين وحتى عصرنا الراهن.

الكلمات المفتاحية: الابتلاء - المشروع المهدوي - القراءة القرآنية - القراءة الحديثية - السُّنن التاريخية..

1 - دكتوراه في الفقه والمعارف الإسلامية- أستاذ في الحوزة العلمية وجامعة المصطفى العالمية- إيران

المقدمة

يُعتبر المشروع المهدوي من المشاريع التي بشَّرت بها الديانات السابقة، مُنذ أقدم تجمع على وجه الأرض. وقد تنوّعت البيانات لهذا المشروع الإلهي، وبيان القائد الموعود والمُنقذ الذي تتمحور حوله حركة التاريخ وغاياتها، ويمُثّل المشروع المهدوي لدى المدرسة الإمامية المحور الأساسي في بحث الإمامة، التي تدور حوله رحى السُّنن التاريخية جميعًا، وتُحاول الوصول الى غاياته، وقد صار للابتلاء في تحقيق هذه الغايات وتحريك المجتمع الإنساني نحوها المحرك الأساسي في تحقيق الغايات، من خلال الاقتراب إلى المثل الأعلى المُتمثّل بالحقّ تبارك وتعالى، والمُتجسِّد في وراثة الصالحين للأرض وعمارتها..

وفي هذا البحث، سنُحاول التركيز على بيان تلك السُّنن، والنظرة القرآنية والحديثية لفلسفة الابتلاء وغاياته في هذا المشروع المهدوي الإلهي.

أوَّلا: بحوث تمهيدية

1 - الابتلاء: مفهومه، فلسفته وغاياته وأنواعه ومراتبه

أ- مفهوم الابتلاء

يُعتبر الابتلاء من السُّنن الإلهية المؤكدة، ومن القوانين الحاكمة في الحياة الدّنيا، وقد أكد القرآن الكريم على وجود هذه السُّنة الإلهية في الخلق، بل جُعلت غاية لخلق الأرض وزينتها وموت الإنسان وحياته قال تعالى:﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الكهف:7]، وفي آية أخرى يقول عز من قائل: ﴿**ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ**﴾[الملك:2]. كما ورد عن العترة الطاهرة أخبار نُورانية

كثيرة لبيان سُنّة الابتلاء في الحياة الدنيا، فعن أمير المؤمنين(عليه السلام)، في مكاتبته معاوية قال: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، ولَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ولاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَي بِهَا"[1].

وقد عُبِّر عن سُنّة الابتلاء بعدة تعبيرات في القرآن الكريم، فعُبِّر عنها بالابتلاء والتمحيص كما في قوله تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ**﴾[آل عمران:154]، وعبّر عنها بالافتتان كما في قوله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[العنكبوت:2]. وعبّر عنه أيضًا بالامتحان كما في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[الحجرات:3]. وإنّما اختلفت التعبيرات مع أنّ السّنة واحدة، من جهة اختلاف الموضوع الذي يبتلي الله به عباده، والغاية التي يقع من أجلها الابتلاء. والابتلاء أعمّ من البَلاء، فـ" الابتلاء يكون في الخير والشّر معًا من غير فرق بين فعليهما"[2]، ومنه قوله تعالى ﴿**وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[الأنبياء:35].

والابتلاء لغة، إما من بَلو أو بَلي، وهو " أصلان أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوعٌ من الاختبار"[3] ، والمُراد في المقام، هو المعنى الثاني، وإن كان المعنى الأول من لوازمه.

ب- فلسفة الابتلاء وأهدافه

من الواضح أنّ الابتلاء إنما يجري على العباد لتحصيل العلم والكشف عن الحقائق المجهولة، ولكن حيث إنّ الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم الغيب و﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾[آل عمران:5]، فلماذا يبتلي الله تعالى الناس جميعًا بالسّراء والضّراء كما أخبر في كتابه حيث قال سبحانه: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ**

1 - الشريف الرضي، نهج البلاغة، كتاب 55، ص446.
2 - أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص12.
3 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: بلو، ج1، ص292.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[البقرة:214]؟. نقول: إنّ الابتلاء لشخص ما يتضمن أمرين أساسيين "أحدهما تعرّف حاله والوقوف على أمره، والثاني ظهور جودته ورداءته"[1]، أما تعرّفُ حاله، فيتمِّم الحُجة عليه يوم القيامة ويُوقفه على قدراته في الدنيا، وأمّا الثاني فالغرض منه - إضافة لتتميم الاحتجاج- فيُمكن أن يكون إبرازاً لما تستدعيه الذوات باختيارها من الخير والشر، حتى لا يبقى مجال لأحد أن يقول: لِمَ جعل عليًّا إمام المتقين، وجعل معاوية ويزيد من أئمة الضلال والانحراف؟!

فكما أنّ بعث الرُّسل يُحفّز الطاقات الخيّرة والشّريرة في الإنسان إلى منصة الظهور، ويُوجب فصل أهل الحقّ عن الباطل، فكذلك البلاء يُميّز الخبيث من الطيب، والصادق من المُدّعي الكاذب. وللبلاء غايات نذكر أهمّها والتي ترجع جميعها إلى الأمرين المذكورين سابقاً:

1. اختبار العبد: من أهم الغايات التي تستهدفها سُنّة البلاء، جعل العبد في محكّ الاختبار والامتحان، حتى يُبيّن قيمته ومعدنه الموجب لمقامه الأخروي، فالبلاء يعكس ذلك المعدن ويبرزه إلى العلن، بعد أن كان مختفيًّا وراء الشخصية الظاهرية للإنسان، قال تعالى:﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾[الملك:2].

2. تنمية الطاقات: إنّ الابتلاءات الدنيوية تجعل الإنسان على المِحكّ الذي يجبره على تنمية الطاقات وتفجير الخبرات التي يمتلكها، إذ استعدادات الإنسان لا يُمكن أن تظهر في مرحلة التحقُّق والفعلية، إلا من خلال الوسائل الضاغطة عليه، لتفعيل فكره وتحويل استعداداته إلى حيِّز التحقق والفعلية، وهذا إنما يتمّ بسبب البلاءات التي تتعرض لها البشرية.

3. البلاء سبب انقطاع المؤمن إلى الله: يُعتبر البلاء من أهم الأسباب المؤدية للانقطاع إلى الله تعالى واليأس من الأسباب، فالمؤمن قد يبقى على مقام واحد نتيجة لسير الأسباب

1 - الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص145.

الطبيعية على ما يُناسبه، فيأتيه البلاء حتّى يقطعه عن كلِّ ما سوى الله، ليصفو إيمانه، كما في الحُروب وشدّة البأس على المؤمنين، قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيب**﴾[البقرة:241].

4. البلاء تمييز للصُّفوف: يُعتبر البلاء من أهم الطرق، - على المستوى الاجتماعي - لتمييز المؤمن من المنافق، والصالح من الطالح، والصادق من المُدّعي الكاذب وغيرهم، فالصالح يظهر عادة صلاحه في البلاء، بينما الإنسان الطالح يسقط في الاختبار، كما أنّ المؤمن يمُحَّص إيمانه بصُعوبة البلاءات ويظهر نفاق المنافق فيها، وهكذا الصادق يظهر صدقه في تلك البلاءات، والكاذب يتميّز في أيّ مجتمع ويُعرف كذب ادعاءاته، ولهذا تجد القرآن يركز على سُنّة البلاء لتمييز الصفوف قال تعالى:﴿**مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ**﴾[ال عمران:179].

5. البلاءُ سببٌ للتّوبة والرّجوع إلى الله تعالى: النّاس عادة يدفعهم الرخاء والدّعة إلى الابتعاد عن الله تعالى، بل الأمم السابقة لم يكن متابعتهم لأهل الكفر إلا نتيجة الدّعة والراحة والتلهي بالعيش الدنيوي والمعاصي، فيأتيهم البلاء بالبأساء والضراء كي يتضرّعوا إلى ربّهم ويرجعوا إليه قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾[الأعراف:94].

6. البلاء سببٌ للاستدراج: فالحقّ سبحانه وتعالى عندما يرى الكفار يتمادون في كفرهم وغيِّهم وظلمهم واستضعافهم للمؤمنين، يستدرجهم ببلاء النعمة ووُفورها والقوة وعظمتها، فيأخذهم حينما يكونوا غالبين على أمرهم بحسب الظاهر، وقادرين على غيرهم بحسب أسباب التمكُّن الظاهري، قال تعالى: ﴿**وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا**﴾[الإسراء:16]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فَقَدْ أَمْهَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَدَّادَ بْنَ عَادٍ وَثَمُودَ بْنَ عَبُّودٍ وَبَلْعَمَ بْنَ بَاعُورٍ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً، وَأَمَدَّهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَعْمَارِ وَأَتَتْهُمُ الْأَرْضُ

بِبَرَكَاتِهَا لِيَذَّكَّرُوا آلاَءَ اللَّهِ وَلِيَعْرِفُوا الْإِهَابَةَ لَهُ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَلِيَنْتَهُوا عَنِ الاسْتِكْبَارِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْمُدَّةَ وَاسْتَتَمُّوا الْأُكْلَةَ، أَخَذَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاصْطَلَمَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ حُصِبَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْرَقَتْهُ الظُّلَّةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَوْدَتْهُ الرَّجْفَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَرْدَتْهُ الْخَسْفَةُ، فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً، فَإِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، لَوْ كُشِفَ لَكَ عَمَّا هَوَى إِلَيْهِ الظَّالِمُونَ وَآلَ إِلَيْهِ الْأَخْسَرُونَ، لَهَرَبْتَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ وَإِلَيْهِ صَائِرُونَ»[1]

ولابدّ من العِلم أنّ جميع هذه الأسباب جارية في السُّنة الإلهية للقضية المهدوية، سواء في سنوات انتظاره الطويلة، أم في عصر ظهوره وحكومته العادلة، فالمؤمنون به لابدّ أن يُمحّصوا بالبلاءات حتى ينجحوا في الاختبار، وتُنمّى طاقاتهم وينقطعوا إلى ربّهم ويتعمق إيمانهم بالمشروع الإلهي، وصدق الوعد فيه، بوراثة الصالحين الأرض قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[الأنبياء:105]. وقد ورد في ذيل تفسيرها عن أبي جعفر عليه السلام قال: «هُم أصحاب المهدي عجل الله فرجه الشريف في آخر الزمان».

ت- أنواعُ البلاء

يُمكن تقسيم البلاء إلى عدّة أنواع، وبعدّة اعتبارات، فمن حيث المُتعلق، يُمكن أن يكون البلاء في المال أو الجسد أو الولد والزوجة، كما في البلاءات التي تعرض لها أيوب عليه السلام، وخرج منها جميعها مرفوع الرأس، فمدحه الله تعالى قائلا: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾[سورة ص:44]. وقد يُقسّم البلاء بلحاظ كونه بلاء الشدّة والرخاء، وفي النِّعم والنِّقم كما في ابتلاءات بني إسرائيل، حيث يُحدثنا الله تعالى عن ابتلائهم تارة بالنِّعم وتارة بالتّيه والعذاب والحرب، وكابتلاء صاحب الجنَّة الذي قال لصاحبه وهو معجب بجنته ﴿**قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً**﴾[الكهف:35]، فابتلاه الله تعالى فيما رزقه من المال والجنتين، ليريه قدرة الله تعالى على إهلاكها ليرجع عن غيّه، فلما رآها خاوية على عروشها قال: ﴿**يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا**﴾[الكهف: 42] ، وقد يُقسَّم بلحاظ الجهة المُمحصة في البلاء، كقوة عقيدة

1 - الكليني، الكافي، كتاب الروضة، خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، ج8، ص30.

الإنسان وطاعته وتسليمه، كما في قصّة إبراهيم عليه السلام بأمره بذبح ولده إسماعيل، أو ابتلاء يونس بإلقائه في بطن الحوت، وغيرها من جهات البلاء، التي يُمكن تقسيمها على أساسه. ولكن يُمكن تقسيم الجميع باعتبار عام، فيُقال البلاء والابتلاء على خمسة أنواع:

1. الابتلاء بالطاعة: وهو الابتلاء بطاعة الله تعالى وطاعة الإمام المفترض علينا طاعته من قبل الله تعالى، في أوامره ونواهيه، والصبر على ما لا يُدرك العبد ما فيه من وجه المصلحة والحكمة والتسليم فيه، وعدم الشّك في ذلك، وقد بيّن الله تعالى في كتابه بأنّ الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وآله مرهون بالتسليم له صلوات الله عليه، فقال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[النساء:65].

2. الابتلاء بالشدّة: وذلك بالابتلاء بالمحن والمصائب ونقص الأموال والأنفس والثمرات، إذ هو من الطرق العامة التي يستعملها الله تعالى لسوق عباده إلى الطاعة والكمال قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾[البقرة:155].

3. الابتلاء بالرخاء: وهو من أعظم البلاءات التي تُوجب انحراف الإنسان وغفلته عن الآخرة، وعمّا وُجد لأجله في الدّنيا، فالعادة في بلاء الرّخاء أنه يُوجب توجُّه الناس إلى عمارة الدنيا والانشغال بالملذات والمشتهيات واللهو واللعب، فيُعمّرون بذلك الدنيا وينسون عمارة الآخرة، مع أنّها دار الحياة الباقية والدنيا دار الفناء والزوال.

ولذلك، عُدّ بلاء الشدّة نعمة، إذا قيس ببلاء الرّخاء، فعن أبي عبد الصادق عليه السلام أنه قال: «لَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَتَّى تَكُونُوا مُؤْتَمَنِينَ، وحَتَّى تَعُدُّوا نِعْمَةَ الرَّخَاءِ مُصِيبَةً، وذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ عِنْدَ الرَّخَاءِ»[1].

وكلّ هذه البلاءات الجارية على الأمة بأنواعها المُتعدّدة، تُعدّ تمهيدًا قويًّا للدولة الإلهية والقضية

1 - الصدوق، صفات الشيعة، ص34.

المهدوية، إذْ شدّة الابتلاء من السُّنن الجارية في الأمة، قبل ظهور الإمام الحُجة وفي زمان انتظاره عجل الله فرجه الشريف، فقد ورد عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أَمَا وَاللهِ لَيَغِيْبَنَّ إِمَامُكُمْ سِنِيْنَ مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَتُمَحَّصُنَّ حَتَّى قَالَ: مَاتَ؟ قُتِلَ؟ هَلَكَ؟ بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ؟ وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُوْنُ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَلَتُكْفَأُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِيْ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَهُ، وكَتَبَ فِيْ قَلْبِهِ الْإِيْمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ، قَالَ: فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ فَنَظَرَ إِلى شَمْسٍ دَاخِلَةٍ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَرَى هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: إِنَّ أَمْرَنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ»[1]. والتّمحيص: "تخليص الشيء وتنقيته من كل عيب"[2]. وهو " كالتزكية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ"[3] ، فالرواية تكشف عن شدة الابتلاء الذي ستمر به الأمة عند الغَيْبة، وعلى شدّة المَيل والانحراف الذي سيحصل في زمان غيبته، إذ شبه الإمام عملية التمحيص بانكفاء السفينة وتمايلها واضطرابها في البحر المتلاطم، وهو إشارة إلى ميل الناس وانحرافهم في زمن غيبته عجل الله فرجه الشريف، فضلا عن الحيرة التي سيقعون فيها، فلا ينجو من شدّة هذا الابتلاء إلا من أخذ الله ميثاقه في عالم الذَّر، وأيده بروح الإيمان في الدنيا.

ث- مراتبُ البلاء

للبلاء مراتب متعددة ودرجات مختلفة، ترتقي بحسب درجات العبد ومقامه عند الله تعالى، فالأنبياء أشدّ الناس بلاءً ثمّ الأمثل فالأمثل، فعن "عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الحَجَّاجِ قَالَ: «ذُكِرَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام الْبَلَاءُ وَمَا يَخُصُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْمُؤْمِنَ فَقَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ النَّبِيُّونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ بَعْدُ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِ، فَمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَمَنْ سَخُفَ إِيمَانُهُ وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلَاؤُهُ»[4]. وقد يكون بلاء المؤمن في الظاهر عقابًا، ولكنه في الواقع مغفرة لذنوبه وتنقية له، فعن "عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعِزَّتِي لَا أُخْرِجُ لِي عَبْداً مِنَ الدُّنْيَا أُرِيدُ رَحْمَتَهُ إِلَّا اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ سَيِّئَةٍ هِيَ لَهُ إِمَّا بِالضِّيقِ فِي رِزْقِهِ أَوْ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ وَإِمَّا خَوْفٍ أُدْخِلُهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ

1 - الكليني، الكافي، ج1، ص336.
2 - ابن فارس، مقائيس اللغة، ج5 ص300. مادة : محص.
3 - الأصفهاني، مفردات القرآن، ص761. مادة : محص.
4 - الكليني، الكافي، باب شدّة ابتلاء المُؤمن، ج2، ص252، حديث: 2.

شَدَّدْتُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ، وَقَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي لَا أُخْرِجُ لِي عَبْداً مِنَ الدُّنْيَا وَأُرِيدُ عَذَابَهُ إِلَّا اسْتَوْفَيْتُهُ كُلَّ حَسَنَةٍ لَهُ، إِمَّا بِالسَّعَةِ فِي رِزْقِهِ أَوْ بِالصِّحَّةِ فِي جَسَدِهِ وَإِمَّا بِأَمْنٍ أُدْخِلُهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ هَوَّنْتُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ»[1]، فالمؤمن قد يتعرّض لأنواع البلاء في رزقه وجسده أو خوف يُدخله عليه، لتنقيته من ذنبوه، بل حتّى تشديد سكرات الموت عليه، لأجل أن يخرج من الدنيا وليس عليه شيء يستحق عليه العذاب، بل قد يُشدِّد عليه في موته وطريقة موته، بينما يُمتع الكافر في ظاهر موته، حتّى لا يلقى الله تعالى وله عنده شيء، فعن أبي جعفر عليه السلام: قَالَ: «مَرَّ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرَجُلٍ بَعْضُهُ تَحْتَ حَائِطٍ وَبَعْضُهُ خَارِجٌ مِنْهُ، فَمَا كَانَ خَارِجًا مِنْهُ قَدْ نَقَبَتْهُ الطَّيْرُ وَمَزَّقَتْهُ الْكِلَابُ، ثُمَّ مَضَى وَوقعت [رُفِعَتْ] لَهُ مَدِينَةٌ فَدَخَلَهَا، فَإِذَا هُوَ بِعَظِيمٍ مِنْ عُظَمَائِهَا مَيِّتٍ عَلَى سَرِيرٍ مُسَجًّى بِالدِّيبَاجِ حَوْلَهُ الْمَجَامِرُ، فَقَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا تَجُورُ [ذَاكَ] عَبْدُكَ لَمْ يُشْرِكْ بِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَمَتَّهُ بِتِلْكَ الْمِيتَةِ، وَهَذَا عَبْدُكَ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَمَتَّهُ بِهَذِهِ الْمِيتَةِ، فَقَالَ [اللَّهُ] عَزَّ وَ جَلَّ عَبْدِي أَنَا كَمَا قُلْتَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا أَجُورُ، ذَاكَ عَبْدِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي سَيِّئَةٌ وَذَنْبٌ فَأَمَتُّهُ بِتِلْكَ الْمِيتَةِ لِكَيْ يَلْقَانِي وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَهَذَا عَبْدِي كَانَتْ لَهُ عِنْدِي حَسَنَةٌ فَأَمَتُّهُ بِهَذِهِ الْمِيتَةِ لِكَيْ يَلْقَانِي وَ لَيْسَ لَهُ عِنْدِي شَيْءٌ»[2]. فانظر للحديث كيف يُبين أنّ ما ظاهره ميتة سوء، لم يكن تعذيبًا للمؤمن، بل في الحقيقة تنقية وتصفية له حتى يلقى الله تعالى ولا ذنب عليه.

2 - المشروع المهدوي: الهوية- الأبعاد- الأهداف- الصيرورة والسيرورة التاريخية

أ - المشروع المهدوي: هويته وأبعاده وأهدافه

يُعتبر المشروع المهدوي من المشاريع التي نمت مع نمو الفكر والمجتمع الإنساني، ذلك أنّ الإنسانية جمعاء تتطلع إلى ذلك اليوم الذي يعمُّ فيه السلام والعدل وجه البسيطة وتزول سلطة دول الظلم والجور عن رقاب الناس، وسنُبين في السّير التاريخي لهذا المشروع، كيف أنّ فكرة المُخلص التي تمثل المحور الأساسي في هذا المشروع، تبلورت مع أقدم الحضارات الإنسانية وإن تمظهرت بصور متعددة. والمشروع المهدوي، هو المشروع القائم على أساس الخلافة

1 - الكليني، الكافي، ج3، ص444. حديث: 2.
2 - الكليني، الكافي، ج2، ص246، حديث:11.

الإلهية للإنسان في الأرض، لإقامة دولة العدل الإلهي القائم على أساس الشريعة المحمدية الغراء، وهذا المشروع له عدّة أبعاد وأهداف من أهمها:

1. البُعد الإيماني في القضية المهدوية: من الأمور المهمة في الشخصية الإنسانية - بنظر المشروع الإلهي - هو البُعد الإيماني وتنميته، ولهذا نجد القرآن الكريم تحدث عن الإيمان في مساحة عريضة من آياته، وقَرنه بالعمل الصالح الموجب لتكامل الإنسان في بُعده العملي، ومن القضايا التي يمتحن بها الإنسان في زمننا، هو قضية الإيمان بالمهدي المنتظر والاعتقاد به كإمام مفترض الطاعة ولزوم معرفته، وأنّ إنكاره إنكارًا لرسول الله ﷺ ولُزوم تحصيل المعرفة به وإظهار المحبّة له وبُغض أعدائه والدّعاء له بالحفظ، وتعجيل الفرج، وبذل الصدقات عن وجوده المُبارك، وانتظار فرجه وما يرتبط به، فإنّ أفضل أعمال العبد في زمان غيبته انتظار فرجه عجل الله تعالى فرجه الشريف والتسليم له في أمر غيبته وعدم الاعتراض على هذا الأمر. وهذه الأمور - كما هو واضح - تُوجب ترقّي إيمان الإنسان بالغيب والارتباط بالحق تعالى، والإيمان بوعده الصادق، الذي وعَد به المؤمنين، وكتبه في التوراة والإنجيل، وفي الزبور من بعد الذكر، أنّ الأرض يرثها عباده الصالحين قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[الأنبياء:105].

2. البُعد النفسي في القضية المهدوية: من الأبعاد الأخرى في القضية المهدوية البناء النفسي الذي تولده للفرد والمجتمع الإيماني، فالشخص الذي يُؤمن بالقضية العادلة وما تتضمنه من الوصول إلى مرحلة العدل الإلهي وإحقاق الحق وإبطال الباطل، يكون هذا الأمر دافعًا نفسيًّا عنده للأمل المستقبلي وديمومة التنافس في بناء الحياة وعمارة الأرض والتسابق في فعل الخيرات وتحمّل المشاق وحل المشكلات النفسية، وقد أثبتت الدراسات الغربية أنّ المؤمنين بالأمور الدينية الغيبية أكثر تفاؤلا وفاعلية في الحياة من الذين يُنكرون القضايا الدينية[1].

3. البُعد التربوي في القضية المهدوية: وهذا البُعد من الأبعاد المهمة في تربية الفرد

1 - انظر: الصنيع، التدين والصحة النفسية، ص. ص.47- 95 .

والمجتمع، وهو من الأبعاد التي تتجلّى بوضوح في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، إذ الاعتقاد بوجود إمام حي حاضر بين ظهرانينا - وإنْ لم نتعرّف على شخصه الكريم - يبعث الروح التربوية في المُعتقد به من جهة تمثُّل الإمام مجموعة من القيم والمبادئ والمُثل الفاعلة والقائمة فينا، ومن جهة مضاعفة الرقابة الإلهية فينا، والباعثة على التربية الخُلقيّة، ومن جهة حالة الانتظار المُوجبة لتحقُّق عنصرين في الإمام المنتظر، "عُنصر نفي وعنصر إثبات، فعنصر النّفي هو الإحساس بغرابة الوضع الذي يُعانيه المُنتظِر، وعُنصر الإثبات هو طلب الحال الأحسن، وإذا قُدِّر لهذين العنصرين أن يحلا في روح الإنسان، فسيكونان مدعاة إلى بناء شخصيته والتحرك الذاتي، وتهيئة الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية لظهور تلك الحكومة العالمية الإنسانية، وهذا الأمر سيكون سبباً لليقظة والوعي والبناء الذاتي"[1].

4. البُعد الاجتماعي في القضية المهدوية: وذلك من جهة أنّ الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع، إنّما تتشّكل بلحاظ الكمال الذي ترسمه حضارة ذلك المجتمع، والهدف الذي تتحرك لتحقيقه، وكلّما كان الهدف والغاية أكثر تعاليًّا وقُدسية، كان الجهد المبذول والحركة التكاملية الحاصلة في ذلك المجتمع أكمل.

ومن هنا، نفهم أنّ للانتظار - الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في طيّات البحث- ديناميكية عالية لبلورة المجتمعات وبنائها حضاريًّا وعلميًّا وثقافيًّا وأخلاقيًّا، فالمجتمع الذي يؤمن بعبثية الغاية وفقدانها وانتهائها عند اللذات الحسية والمادية، لن يسعى لبناء ذاته إلا بمقدار ما تحقّق له من هذه الملذات المنقطعة والمنتهية. كما أنّ المجتمع القائم على الرّبحية وجمع الثروة والمال، لن يألو جهداً في تحطيم النّظم الثقافية والأخلاقية للمجتمعات، مادامت تُحقق له ربحًا ماديًّا وقدرة اقتصادية، بينما المجتمع الذي يؤمن بالقضية المهدوية وبلُزوم تحقُّق الدولة العادلة، فإنه يسعى جاهداً لبناء المجتمع على أسس ثقافية وحضارية وأخلاقية، تُحقق تلك الغاية وهي قيام الدولة العادلة المهدوية، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[الحديد:25].

1 - مجموعة باحثين، العدل المنتظر مقالات مهدوية، ص42.

فالبيّنات حُجج باهرات على الحقّ، والكتب تمُثل الشرائع والقوانين الحاكمة للبشرية، والميزان هو "الإمام"[1] العامل بتلك القوانين، وبهذه الأمور يتمكن الناس من القيام بالقسط، وبناء مدينتهم الفاضلة على أساس المشروع المهدوي. وتوجد أبعاد أخرى في المشروع المهدوي والقضية المهدوية تركناها اختصاراً.

ب- السيرورة والصيرورة التاريخية للمشروع المهدوي

تُعد الحاجة إلى المشروع المهدوي من الحاجات الإنسانية التي تزداد تجليًّا في البشرية كلما ازداد الظلم فيها وتوسّع، إذ تتطلع البشرية إلى المخلص المُنجي الذي يقيم العدل وينتهي الظلم على يده، وفكرة المُنجي والمُنقذ الإلهي نجدها مُتجلّية في جميع المجتمعات الإنسانية منذ أقدم الحضارات الشرقية والغربية، فالهندوسية ترى أنّ المُنقذ العالمي الذي يمُثل عندهم صورة الإله (فيشنو)، سيأتي في نهاية العصر المظلم على شكل رجل يمتطي حصانًا أبيضًا وفي يده سيف يلمع لمُحاكمة الخُطاة ومكافئة المُحسنين (ثمّ يأتي المظهر الأخير للإله فيشنو متجسدًا على شكل رجل يمتطي فرسًا أبيض وشاهراً سيفه، وهناك وصف للسيف تشبيهاً له بالنجمة المذنبة، كناية عن شدّة قوته وسطوع نوره الذي سيُبدد الظلام وتنعم الأمم بالسلام"[2].

كما أنّ البوذية هي الأخرى تطرح المُنقذ، إما على أساس فكرة (البوديساتفا)، وهو الإنسان الكامل الذي وصل إلى مرحلة الخلاص الأخير، لكنه أجّل خلاصه لأَجل أنْ يُرشد الناس ويخلصهم وينقذهم من حالة الضياع والتدهور الروحي حتى لا يمروا بمراحل الولادات المتجددة، وأما على أساس فكرة (الإفاتار)، والذي تعني تجسد الروح الأعلى على شكل إنسان، لرفع معاناة العالم وآلامه، كما أنّ الزرادشتية هي الأخرى تتبنّى فكرة انتظار وعودة المصلح والذي يُعبر عنه بـ (السوشيانس) من نسل زرادشت[3]، بل لم تخلوا المناهج المادية من هذه الفكرة، وقد صُوِّرت

1 - كما جاء تفسيره بذلك في تفسير القمي، ج2، ص352.
2 - انظر: نو، ناجح حسين، المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، ص165، نقلا عن الكتاب المُقدس الهندوسي، الأوبانيشاد: 2، ص637.
3 - الشيخ، عباس، موعود الأديان، ص240.

بعدّة صور مثل: السوبرمان الذي يمتلك القوى الخارقة والذي يتواجد لإنقاذ الناس[1].

وأما في الديانات السماوية الثلاثة، ففي اليهودية تعتبر عقيدة المخلص من العقائد الأساسية فقد وردت في اللغة العبرية (המושיע) بمعنى المُنقـذ، المخلـص، المُنجـي، الغائـث، وقد يُسمى المشيح أو المسيح عندهم، وهو من نسل داوود كما ورد في إنجيل يُوحنا، "أما قال الكتاب إنّ المسيح يجيء من نسل داود، ومن بيت لحم مدينة داود؟"، وسيكون مخلّصًا للأُمم جميعًا، كما في سفر أشعيا النبي "لتكون نوراً للأُمم وخلاصًا إلى أقاصي الأرض..."[2]

واليهود - بحسب نصوص العهد القديم - يرون أن تحقُّق هذا الوعد الإلهي، يتمّ بتمكين بني إسرائيل من إقامة الدولة العادلة على أرض فلسطين، وتمتد من النيل إلى الفرات، كما ورد في العهد القديم في خطاب الرَّب لإبراهيم: "لِنَسْلك أهبُ هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"، وأما المسيحية، فتؤمن هي الأخرى بمجيء شخص في آخر الزمان، ينشر العدل ويجمع بساط الظلم والظالمين، ولكن المسيحية ترى الخلاص إنّما يكون بعودة يسوع المسيح، واجتماع المُؤمنين به، ويذهب بهم لمقابلته على السحاب ليُنجيهم من الفتن في آخر الزمان، وقبل القيامة أو يوم الدّينونة. و "حتّى الموتى سيُبعثون من قبورهم أحياءً، ويصعدون لمُقابلة المسيح على السّحاب، والأحياء فيخطفون من الأرض إلى السماء، ليبتعدوا عن الدّجال"[3].

وأما الدين الإسلامي، فقد تواترت الأخبار في المصادر السُّنية والشيعية، عن قضية المُنقذ والإمام المهدي المنتظر الذي يأتي في آخر الزمان[4]، كما فُسرِّت العديد من الآيات القرآنية بذلك[5].

وقد اختلفت النظرات في تفسير قضية الإمام المهدي عليه السلام، بين من وصفه بالمسيح المنتظر،

1 - انظر: قيدارة، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، ص. ص. 41-44.
2 - سفر أشعيا: 49-6-13 .
3 - انظر: نور، المُنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، ص118. نقلا عن: يوسف توما مرقس، اللاهوت العقائدي، ج3، ص14.
4 - انظر: العسكري، الإمام المهدي الموعود المنتظر عند أهل السنة والإمامية، ج1، ص245.
5 - الكلبايكاني، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ج2، ص. ص. 20-51.

وبين قائل أنه من وُلد الحسن أو الحسين واسمه محمد بن عبد الله، ولكنّ الصحيح الموافق لأكثر الروايات عند الفريقين أنّ المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو محمد بن الحسن من وُلد الحسين عليه السلام وبما أنَّ بحثنا في سُنة الابتلاء به لا في شخصيته، فسنترك البحث عن شخصيته لمراجعة القارئ الكريم[1].

3 - الرُّؤية القرآنية: المفهوم- المنهجية

تمُثل الرؤية الأسس والبنى المعرفية التي يستند إليها في تفسير ظاهرة معينة، وقد تُستعمل في الهدف الذي يُراد تحقيقه، ولكنها في مقام تفسير الظواهر لا تطلق بهذا المعنى، بل بالمعنى الأول. والرؤية القرآنية هي الأسس والبنى المعرفية التي يُؤسسها القرآن لظاهرة معينة كظاهرة الابتلاء في القضية المهدوية وتأثيرها في بناء الفرد والمجتمع وتهيئته للغاية المطلوبة من هذه الظاهرة، وهي إقامة الدولة العادلة.

ومن الواضح أنّ المنهجية التي يعتمدها القرآن في بيان رؤيته تجاه هذه القضية، تبتني على أساس نظرته التوحيدية القائمة على أساس الثبات والخلود للقضية العادلة، وعدم تغيير الأصول والمبادئ التي تبتني عليها القضية المهدوية، كما أنها تُعطي طابع القداسة لهذه القضية، ممّا يجعل أتباعها يُؤمنون بها ويدافعون عنها ويستمدون من انتظارها والتبشير بها، أساسًا لتكاملهم في الدنيا وثوابًا لهم في الآخرة.

ونقصد بالرؤية القرآنية في المقام: النظرية والمنهج القرآني لبيان المشروع المهدوي وفلسفة الابتلاء به ومدى تأثيره في بناء الفرد والمجتمع، إذ المشروع المهدوي بإبعاده المتعددة التي ذكرناها، يمُثل الابتلاء به نظامًا تربويًّا ومعرفيًّا وحركيًّا لتوليد المجتمع الصالح، وتحقيق الغاية التي لأجلها بُعث جميع الأنبياء والمُرسلين.

وقد استخدم القرآن المنهج النظري التأسيسي للسُّنن الحاكمة في قانون الابتلاء كما بين التطبيقات العملية لهذه السُّنن، من خلال القصص القرآنية للأنبياء والأمم السابقة، لتجسد الحالة العملية لتلك السُّنن الحاكمة في ظاهرة الابتلاء في المشروع المهدوي، ويمُكن عرض الرؤية

1 - للاستزادة ينظر: العسكري، الإمام المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، في جزأين.

القرآنية لفلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي عبر الأمور التالية:

1. المنهج التوحيدي لسُنّة الابتلاء: فالقرآن يُبيّن الابتلاء على أساس المنظومة المعرفية المُتمحورة على أساس التوحيد ومراتبه، والتي تتّخذ من السلوك التوحيدي الإيماني والعملي للفرد والمجتمع أساسًا لعميلة التمحيص التي تُعدّ غاية أساسية للبلاء.

2. السُّنن التاريخية الحاكمة في عملية الابتلاء: يُبين القرآن الكريم مجموعة من السُّنن التاريخية الحاكمة على عملية التمحيص والابتلاء، ويبرز القرآن هذه السُّنن من خلال القصص القرآني المُبيِّن لمبدأ حكومة الحقّ على الباطل وانتصاره عليه، وإنْ غلب الباطل على الحق في بعض الدورات، فإنّ "للحقِّ دولة وللباطل جَوْلة"[1] .

3. عرض القدوة الكاملة في عمليّة الابتلاء: فالقرآن يعرض قصص أنبياء الله وأوليائه الصالحين الذين تعرّضوا لشتّى أنواع البلاء، وكيف أنّ الله تعالى حقّق لهم النّصر والغلبة على أعداهم، بعد أن نجّاهم في التّمحيص بالبلاء والصبر عليه، ومن تلك الأمثلة ما عرضه القرآن من البلاءات الشديدة التي تعرض لها نبي الله أيوب، وكيف خرج مرفوع الرأس منها ممدوح الصفة فيها، إذ قال عنه القرآن الكريم: ﴿**وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ* ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ* وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾[سورة ص:41-43]. فقد بيّن القرآن عاقبة الصبر على البلاءات، وكيف أكرم الله تعالى عبده أيّوب، بأنْ وهب له أهله وضاعف عليه النعم، وأرجع عليه ماله وأولاده، ليكون عبرة لأولي الألباب.

4 - الرُّؤية الحديثية: المفهوم – المنهجية

تمُثل الرؤية الحديثية البِنى والمنهج المعرفي والسُّنن الحاكمة في عملية الابتلاء في المشروع المهدوي في روايات النبي الأكرم وأهل بيتهعليهم السلام، وقد عرضت الروايات هذه الرؤية من خلال الأمور التالية:

1 - الليثي، عيون الحِكم والمواعظ، ص403. حديث: 6816-6815.

1. معالم المشروع المهدوي: بيّنت الروايات المعالم الأساسية للمشروع المهدوي، من خلال تبيين القيادة الكاملة له، بوصفها وشخصها والمُقوِّمات التي تقوم على أساسها، من عقدية وأخلاقية وتشريعية، كما بيّنت العلامات الموضحة للملاحم والرايات التي تحصل قَبْل وإبان ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

2. وظائف المُنتظرين في الانتظار وغربلتهم: تعرضت الروايات للتكاليف الملقاة على عاتق المنتظرين ليجري من خلال تلك الوظائف عملية الفرز العملي للمنتظر الحقيقي عن غيره، خصوصًا مع الفتن والبلاءات التي سيتعرض لها المجتمع المهدوي في فترة الانتظار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أَلَا وإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وَالَّذي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَةَ الْقِدْرِ[1] حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاَكُمْ وَأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ، وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، واللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[2]، وَلاَ كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ»[3].

3. الحوادث التي سترُافق ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ومعاركه: فالروايات تتحدث عن كثرة الوقائع التي ستقع في عصر ظهوره المبارك، وما يحصل من المعارك والفتن في عصر ظهوره أيضًا.

وهذه النقاط الثلاثة وغيرها تعتبر الأسس البنائية لعملية التمحيص والابتلاء في المشروع المهدوي، وسنتحدث عنها وعن غيرها بصورة تفصيلية ضمن المحاور التالية إن شاء الله تعالى.

1 - لتُبلبلن، أي لتُخلطن، تبلبلت الألسن أي اختلطت، والبلبلة أيضًا الهم والحزن ووسوسة الصدر. و لتغربلنَّ من الغربال الذي يغربل به الدقيق، والغربلة أيضًا: القتل. والسوط: التخليط، والمسوط والمسواط: خشبة يحرك بها ما في القدر ليختلط.

2 - الوشمة: المرة، يُقال: ما عصيت فلانا وشمة، أي طرفة عين، وفي بعض النسخ بالمهملة، وهي العلامة.

3 - الكليني، الكافي، ج8، ص67.

ثانيًا: فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي: قراءة قرآنية

1 - المنهج القرآني للمشروع المهدوي

حينما نُراجع القرآن وكيف عرض المشروع المهدوي، نجد أنه يطرحه بعدَّة عناوين مهمة، كالإيمان بالغيب، وخلافة الإنسان الكامل، ووراثة الصالحين للأرض، والمنِّ على المستضعفين وإشراق الأرض بنور ربها، وقيام الناس بالقسط، وغيرها من العناوين التي تشكل أركان المشروع المهدوي بنظر القرآن، فالإيمان بالغيب، يُشكّل القاعدة الأساسية في بناء المجتمع المهدوي، كما أنّ خلافة الإنسان الكامل تمُثل شكل الحكومة العادلة التي تُريدها السماء، فتُشرق الأرض، وتضع موازين العدل والقسط بين الناس، حيث تمُثل شكل السلطة القضائية التي ستحكم الناس وأثر تلك الحكومة العادلة، كما أنّ وراثة المستضعفين وعباد الله الصالحين تمُثل الأمة الصالحة التي ستدير تلك الحكومة والدولة العادلة، بينما يمُثل قيام الناس بالقسط المجتمع المتكامل ببُعْديه: الإيماني، بإيمانه بالغيب، وبُعْده العملي، بقيامه بالقسط الذي هو منتهى العدل، وبهذا يظهر أنّ عرض هذه المفاهيم وما يترتّب عليها من مفاهيم أخرى، يمُثِّل دور المشروع المهدوي، وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل:

أ- الإيمان بالمهدي إيمانٌ بالغيب

لعلّ من الأمور الواضحة في القرآن الكريم، نعت المؤمنين المُتقين ومدحهم لإيمانهم بالغيب قال تعالى:﴿**ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ* ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ**﴾[البقرة:1-2]. والغيب هو كلّ ما غاب عن الحواس، ودلّ عليه العقل أو النقل، وإنّما قدّمه على جميع الأوصاف الأخرى التي ذُكرت في الآيتين التاليتين لأنّ الإيمان بالغيب هو الأساس في إقامة الصلاة والتصدُّق بالصدقات، وإنما ذكرهما لما لهما من الشمولية لغيرهما من الأعمال، فإنّ أعمال العباد إما راجعة إلى علاقته مع الله تعالى، وإما إلى علاقته مع الناس، وقد فُسِّر الغيب في هذه الآية بالإيمان بقيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف[1].

1 - انظر: البحراني، المحجة فيما نزل في القائم الحجة(ع)، ص16.

وهذا يعني ارتباط العلاقة مع الله تعالى والناس في زمان غَيْبته بالإيمان به، وأنّ الإيمان به شرط لقبول تلك الأعمال، كما دلّت كثير من الروايات على أنّ الولاية لأهل البيت(عليهم السلام) شرط في قبولها، ولكن المهم عندنا هو أنّ تفسير الغَيب بقيام الإمام المنتظر، يرتبط واقعاً بعُنصر الانتظار الذي نصَّت عليه الروايات، وجعلته خير أعمال أمة النبيﷺ في زمان الغَيبة، لأنّ المُنتظر الحقيقي تتبلور شخصيته من خلال التهيُّؤ الذي يفرضه الابتلاء القائم في زمانه، والتّمحيص الذي يمرُّ به، ليُفرز المنتظر الحقيقي من غيره، عبر تلك الابتلاءات، ويحتاج المنتظر الحقيقي في هذا الامتحان إلى بصيرة تحفظه من الانزلاق، وإرادة مُحركة له نحو التكامل في التمحيص، وإيمان بالغيب أنّ ما قُدِّر له وكُتب جارٍ لا محالة، وأنّ سعيه في النجاح في الابتلاء والاختبار مؤثر في تقديراته في هذه الحركة.

ب- إشراقُ الأرض بنُور ربّها

من الأمور التي أُوِّلت بها الآية الكريمة: ﴿**وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾[الزمر:69]، أنّ المقصود بها الإمام، فعن الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِعليه السلام يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**﴾، قَالَ رَبُّ الْأَرْضِ يُعْنَى إِمَامُ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: فَإِذَا خَرَجَ يَكُونُ مَا ذَا- قَالَ إِذاً يَسْتَغْنِي النَّاسُ عَنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَنُورِ الْقَمَرِ ويَجْتَزُونَ بِنُورِ الْإِمَامِ"[1]، والمُراد بظاهر الآية "انكشاف الغطاء وظهور الأشياء بحقائقها، وبَدو الأعمال من خير أو شر، أو طاعة أو معصية، أو حقٍّ أو باطل للناظرين، و إشراق الشيء هو ظهوره بالنور، ولا ريب أنّ مُظهرها يومئذ هو الله سبحانه، إذ الأسباب ساقطة دونه، فالأشياء مُشرقة بنُور مكتسب منه تعالى"[2].

ولكن لا يمنع هذا المعنى من تطبيقها على ظُهور الإمام الحجةعجل الله تعالى فرجه الشريف، خصوصًا أنّ المناسب لوضع الميزان وحساب الناس، هو تحقُّق دولة العدل الإلهي على وجه الأرض، وهو المناسب لتخصيص الإشراق بالأرض دون غيرها، كما أن وضع الميزان يناسب تفريقه عجل الله تعالى فرجه الشريف بين الحقِّ والباطل وأمره الناس بمتابعة الحق وترك الباطل، فيكون معنى الآية ما وَرَدَ عن إمامنا الرضاعليه السلام:

1 - القمي، تفسير القمي، ج2، ص253.
2 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج17، ص296.

«يُطَهِّرُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ، ويُقَدِّسُهَا مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ، وَهُوَ الَّذِي تَشُكُّ النَّاسُ فِي وِلَادَتِهِ وَهُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ، فَإِذَا خَرَجَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، يَضَعُ مِيزَانَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَداً وَهُوَ الَّذِي تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ، وَلَا يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ، وَهُوَ الَّذِي يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ، فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُ وَفِيهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَ- ﴿**إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾»[1]. وإذا كان ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يمثّل ظهور الحق ووضع ميزان العدل بين الناس، فمن وطّن نفسه على متابعة الحقّ وقبول العدل، ولو على نفسه، سيكون من أنصاره وأعوانه، وأما من تعوّد على مُتابعة الهوى وظلم الآخرين، فمن المُستبعد أن يقبل أطروحة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ومتابعته وحكومته العادلة. لأنه من كان مُلوّثاً غير نقي، كيف ينتظر ثورة يحرق لهيبها المُلوثين؟!"[2].

ت- خلافة الإنسان الكامل والمشروع المهدوي

من المفاهيم الأُخرى المَفصلية في المشروع المهدوي، مسألة الخلافة الإنسانية التي تحدث عنها القرآن، وهي تمُثل شكل الحكومة الإلهية، ورأس الهرم فيها هو الإنسان الكامل، وقد طُرحت هذه المسألة من خلال قصة آدم واستخلافه، وعرض خلافته على الملائكة، واعتراضهم على ذلك، بأنّ في هذا الكائن ما يُوجب الفساد وسفك الدماء، مع أنّ التسبيح والتنزيه لله تعالى من قبل الملائكة يجعلهم أهلا لهذه الخلافة الإلهية، ولكن الله تعالى يُبين لهم أنّ العلم والقدرة على عمارة الأرض وصلاحها هو الأساس في ذلك، وليس مجرد البُعد العبادي بالتسبيح والتنزيه والتقديس لله تعالى.

قال -تعالى- ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ***

1 - الخزاز الرازي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص275.
2 - مجموعة مؤلفين، العدل المنتظر، ص43.

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾[البقرة:30-33]. وهذه الآيات والتي تليها وإن كانت في سياق الحديث عن آدم (عليه السلام) ولكنها " تُنبئ عن غرض إنزال الإنسان إلى الدنيا وحقيقة جعل الخلافة في الأرض وما هو آثارها وخواصها"[1]، وقول الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، من جهة "أنّ الموجود الأرضي موجود مادّي مُركّب من القوى الغضبية والشهوية، والدار دار التزاحم، محدودة الجهات، وافرة المزاحمات، مُركّباتها في معرض الانحلال، وانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنة الفساد ومصبِّ البطلان، لا تتمّ الحياة فيها إلا بالحياة النوعية، ولا يكمل البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أنّ الخلافة المُرادة لا تقع في الأرض إلا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم، يُفضي بالآخرة إلى الفساد والسفك، و- الخلافة- وهي قيام شيء مقام آخر، لا تتمّ إلا بكون الخليفة حاكيًّا للمُستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مُستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى مُتّصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، مُنزه في نفسه عن النقص ومُقدس في فعله عن الشّر والفساد، جلّت عظمته. والخليفة الأرضي - بما هو كذلك- لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوُجوده المشوب بكل نقص وَشِين، الوجود الإلهي المقدس، المُنزّه عن جميع النقائص والمعدومات، فأين التّراب وربِّ الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام التعرّف على ما جهلوه، واستيضاح ما أُشْكل عليهم من أمر هذا الخليفة"[2]، فبينّ لهم الحق تبارك وتعالى، أنّ هذا الخليفة إنما استحق خلافة الله تعالى في الأرض من جهة قُدرته على التعرف على الأسماء، تحقُّقًا وشُهودًا أو فطرة وإلهامًا. إذ أساس هذه الخلافة الإلهية كما هو ظاهر الآيات، قابلية الإنسان لتعلُّم الأسماء.

وسواء فسّرنا تلك الأسماء بمُسميات الأشياء، في كلّ لغة، الراجع إلى إلهام الإنسان، طريقة البيان والتعبير عن مقاصده، والتي هي الأساس في بناء الحضارة الإنسانية وتقنين القوانين

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص115.
2 - الطباطبائي، تفسير الميزان، ج1، ص115.

وإجرائها وإقامة العدل على وجه الأرض، فالبيان يُقيم النظام الاعتباري القانوني الشرعي والأخلاقي الحاكم في المجتمع الإنساني، فسواء فسّرناها بذلك، أم فسّرناها بمُسمّيات الأئمة التي شاهد آدم أشباحهم على ساق العرش، أو فسّرناها بالأسماء الإلهية والتخلُّق بها، ممّا له علاقة بالخلافة الإنسانية، فعلى كلُّ تقدير يتّضح ارتباطها في اختصاص الخلافة بالإنسان دون الملائكة، من جهة قابليته لتعلُّم الأسماء دونهم، فيكون هو المناسب للخلافة الإلهية في الأرض، وحيث أنّ الحق تبارك وتعالى جعل تعليم الأسماء في مقام الرّد على اعتراض الملائكة على جعل الإنسان خليفة، مع أنه موجود مادي.

وإما ارتباط مسألة الاستخلاف بالمشروع المهدوي، فمن الواضح أنّ الغرض من الخلافة الإلهية في الأرض هو ظهور صفات المُستخلِف من عدله وسائر صفاته على وجه الأرض، من خلال خليفته، ليُظهر دينه وعدله على الدين كله ولو كره المشركون. وذلك إنما يكون بتمكين المؤمنين المستضعفين في الأرض ووراثة الأرض لعباده الصالحين.

ث- وراثة عباد الله الصالحين للأرض

تمُثل وراثة الأرض من قبل عباد الله الصالحين، القاعدة الأساسية والركيزة المهمة في حكومة العدل الإلهي والمشروع المهدوي، وقد وردت مسألة الوراثة في القرآن في عدة آيات، نذكر منها قوله -تعالى-: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ**﴾[الأنبياء:105]. فقد ورد في تفسيرها عن أبي جعفر عليه السلام قال: «هُم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان»[1]، و"المُراد من وراثة الأرض، انتقال التسلُّط على منافعها إليهم واستقرار بركات الحياة بها فيهم، وهذه البركات إما دنيوية راجعة إلى الحياة الدنيا، كالتمتّع الصالح بأمتعتها وزينتها، فيكون مؤدّى الآية أنّ الأرض ستُطهّر من الشرك والمعصية، ويسكنها مجتمع بشري صالح، يعبدون الله ولا يشركون به شيئا، كما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ..- إلى قوله- يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾[النور:55].

1 - الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص 106.

وإمّا أُخرويّة، وهي مقامات القُرب التي اكتسبوها في حياتهم الدُّنيا، فإنها من بركات الحياة الأرضية، وهو نعيم الآخرة، كما يُشير إليه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**﴾[الزمر:74] وقوله عز من قائل: ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ**﴾[المؤمنون:11]"[1].

وتتقوَّم الوارثة بتمكين الأمة الصالحة وتمكينها في الأرض، لغرض إعلاء كلمة الله في الأرض وعبادته فيها، وتكوين المجتمع الصالح لظهور دولة العدل الإلهي، وهذه سُنّة إلهية ووَعد إلهي تواتر ذكره في جميع العُهود، كما أنها سُنّة شاملة حتمية لا بداء فيها، ولكنها مع ذلك، تتوقّف على السّعي الإنساني وتحمُّل البلاءات، والذي عبرّ عنه القرآن بالكدح قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ**﴾[الإنشقاق:6]. ومفهوم الكدح يتضمّن في طياته السير، فهو بذلك يُعبر عن "المسيرة الإنسانية من بدء وجودها على الأرض لحين وصولها إلى غايتها التي وجدت من أجلها، وهو يُنبأ عن مشروع إلهي يُراد إقامته على الأرض، تقوده الإنسانية عبر مسيرتها، وهذه المسيرة تمرُّ بعدّة مراحل لابدّ من طيّها للوصول إلى تحقيق هذه المشروع الإلهي:

1. المرحلة الأولى: مرحلة الوحدة الإنسانية القائمة على أساس وحدة الفطرة والدين، وهذه المرحلة بدأت منذ نزول آدم إلى الأرض، ويدلّ عليها قوله تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾[البقرة:213].

2. المرحلة الثانية: مرحلة الاختلاف في الدّين والتزاحم في الغايات وإرسال الرُّسل، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ**﴾[يونس:19]. وكذلك قوله تعالى: ﴿**كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ**﴾[البقرة:213]. وقد بيّن الحقُّ تبارك وتعالى

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج14، ص330.

أنّ الغاية من هذا الاختلاف هو إيصال الناس إلى التكامل، وذلك من خلال الابتلاء والتنافس والتسابق في الخيرات، وهذا ما تحدّثت عنه الآية: ﴿**وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾[المائدة:48].

3. المرحلة الثالثة: مرحلة ظهور الدين الإسلامي على الدّين كله، وهو في الحقيقة رجوع إلى الفطرة الإنسانية الواحدة التي توحّد الأمم في عبادة الله، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ**﴾[الصف:9]. وهذه المرحلة هي الأخيرة في المسيرة الإنسانية، وإنّما تتحقّق بواسطة المشروع المهدوي، بعد أن يقطع المجتمع شوطًا طويلاً من الابتلاء والتمحيص، ليصل إلى مرحلة تُؤهِّله لوراثة الأرض، وعندها يبدأ طوراً آخر من الكدح الإنساني بعد الوراثة، تمُكّن ذلك المجتمع المتكامل من الأرض، ليقوم بالتغيير والإصلاح قي تمام الأرض قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ**﴾[الحج:41]"[1].

ج- قيامُ الناس بالقسط واليوم الموعود

من الغايات النهائية التي جُعلت لإنزال الكتب وإرسال الرسل، قيام الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد:25]. فـ "الغرض الإلهي من إرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان معهم أن يقوم الناس بالقسط، وأن يعيشوا في مجتمع عادل، وقد أنزل الحديد ليمتحن عباده في الدفاع عن مجتمعهم الصالح وبسط كلمة الحق في الأرض، مضافًا إلى ما في الحديد من منافع ينتفعون بها"[2].

1 - انظر: الساعدي، وراثة الأرض في القرآن والكتب السماوية: دراسة وتحليل، ص. ص.131-134.

2 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج19، ص171.

ومن الواضح أنّ إقامة القسط لا يُمكن أن يتحقق إلا مع رفض الباطل والمستكبرين، وتحمُّل البلاءات المتعددة، وهذا سيُوجب استضعاف الطالبين لإقامة العدل والقسط على وجه الأرض في ربوعها من قبل المستكبرين، وقد وعد الحق تبارك وتعالى أن يمُنّ عليهم بعد استضعافهم، ويجعلهم المستخلفين في الأرض، كما مرّ الحديث عن هذه الأمر.

2 - فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي ضمن المنهج القرآني

حينما نُراجع الآيات القرآنية المرتبطة بسُنة الابتلاء، نجد أنها تُشكل سُنة وقانونًا عامًّا لا يستثنى منه أحد أبداً قال تعالى: ﴿**الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ* وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ**﴾[العنكبوت:1-3].

ومن الواضح أنّ شدّة البلاءات واستمرارها يرتبط ارتباطًا وثيقاً بأهمية الغاية المقصود إيصال المبتلى إليها، وحيث إنّ المشروع المهدوي يُمثل المحور والغاية التي من أجلها بعث الله النبيين والمرسلين، بما تمُثله من محوريتها لإقامة دولة العدل الإلهي وإظهار الدين الإسلامي على الدين كله، بالإكراه والغلبة على المشركين، وتحقيق التمكين الإلهي للصالحين، وتجسيد الخلافة الإلهية المتُمثلة بخلافة الإنسان الكامل على وجه الأرض، لهذا كُلّه، لابدّ أن تكون البلاءات الحاصلة للمنتظرين والممهدين لهذا المشروع الإلهي على مستوى التمحيص المطلوب والغاية المذكورة، وتتركز فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي على أساس الأمور التالية:

أ- تمحيصُ القادة وتأهيلهم في المشروع المهدوي:

لعلّ من الغايات الواضحة في فلسفة الابتلاء، هو تأهيل القادة المُحنّكين لإقامة المشروع المهدوي، وقد بيّن القرآن الكريم جُملة من صفات هؤلاء القادة، والتي تمُثل المرتبة العالية التي لا يمكن أن تحصل إلا بالتمحيص بالابتلاءات الكثيرة، ككونهم عباد الله الصالحين الذين يرثون الأرض، ويمُكّن لهم في الأرض، ويُعطيهم السلطان والقدرة ليقيموا الصلاة فيها ويؤتوا الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قلوبهم كزُبر الحديد، لو همُّوا بإزالة الجبال لأزالوها، وغيرها من الصفات الروحية التي تحتاج إلى المجاهدة والابتلاء والاختبار المتُعدّد، حتى يصفو

لهم ذلك، فيجمعهم الله تعالى عند إمامهم في ليلة واحدة.

قال -تعالى-: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:148]. فقد ورد في تفسيرها عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث طويل قال: «ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكة على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف[1]، يتْبع بعضهم بعضاً، وهي الآية التي قال الله -تعالى-: ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:148]»[2]

ب- تأهيل الجيش معنويا ونفسيًّا:

عِدّة جيش الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف - كما في بعض الروايات - عشرة آلاف مُقاتل، يجتمعون من أصقاع الأرض إليه، وكلُّهم من شيعته، ومن الواضح أنّ هؤلاء يحتاجون إلى إعداد روحي ونفسي عالٍ، ليكونَ لهم القُدرة على تحمُّل الصّعاب والابتلاءات التي سيتعرضون لها لأجل تحقيق المشروع المهدوي، ولهذا لابدّ من جريان سُنّة التمحيص بالبلاء، لصقل مواهبهم وصفاتهم ومعنوياتهم، وقد ورد في بيان قوله -تعالى-: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[المائدة:54]. وعن سُلَيْمَانَ بْنِ هَارُونَ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ مَحْفُوظَةٌ لَهُ أَصْحَابُهُ، لَوْ ذَهَبَ النَّاسُ جَمِيعاً أَتَى اللَّهُ لَهُ بِأَصْحَابِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿**فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ**﴾[الأنعام:89]، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ**﴾[المائدة:54]»[3].

فسُنة الاستبدال وتعيين المؤمنين الذين وصفتهم الآية بأنهم أذلّة على المؤمنين أعزَّة على

1 - أي قِطَع السحاب المتفرقة، وإنما خصّ الخريف لأنه أوّل الشتاء والسحاب فيه متفرقاً غير متراكم ولا مُطبق، ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك.

2 - العياشي، تفسير العياشي، ج1 ص65، ح: 117.

3 - النعماني، الغيبة، ص316، ب 20، ح: 12.

الكافرين، إنّما يتحقق بالمجاهدة وتحمُّل البلايا والصّبر عليها، كما أنّ الجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لوم اللائمين، كلّ هذه الأوصاف تحتاج إلى مُجاهدة كبيرة لتحصل، إذ من المعلوم أنّ الفضائل الخُلقية والدرجات العالية الإيمانية، لا يُمكن أن تأتي إلا بالتّمحيص الشديد لهم، وإظهار استعداداتهم لصُحبة الإمام ونُصرته.

والآية تُبين أنّ هذا الاستبدال فضل من الله تعالى على أساس مشيئته، ومن المعلوم أنّ مشيئته تعالى قائمة على أساس السُّنن التاريخية التي تحدث عنها القرآن الكريم، ومنها سُنّة التّمحيص الحاكمة على تاريخ الأجيال عبر التاريخ، بدءًا من آدم عليه السلام وانتهاءًا إلى الاستبدال النهائي الذي سيُحقّق دولة العدل الإلهي على وجه الأرض، بواسطة المشروع المهدوي.

ت- تأهيلُ القاعدة العريضة للمشروع المهدوي:

من الأمور الواضحة وجدانيًّا، النفور من الظّلم والتّوق للعدل، وهذا الأمر الوجداني الفطري لدى الإنسان، عبرّ عنه القرآن الكريم بقيام الناس بالقسط، وجعله غاية لإرسال الرّسل وإنزال الكتب والميزان. قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد:25].

وهذا الأمر إنّما يتحقّق، إذا وصل المجتمع الإنساني إلى مرحلة الإيمان بأنّ الحلّ في إنهاء الظلم والجَوْر الذي مُلئت به الأرض، إنّما يتحقّق بالوقوف مع الحق ونصرته، وهذا الأمر يحتاج أنْ تمرَّ المجتمعات البشرية بتمحيص طويل لتتنازل عن التوجه لمصالحها الشخصية وملذاتها الدنيوية، وتهتم بنشر العدل وحَمْل رايته، وهذا ما عبرّ عنه القرآن في الآية بقيام الناس بالقسط. ومن بين هؤلاء الناس، تُوجد أمة خاصة تتّبع المشروع المهدوي، وتُؤمن به وبارتباطه بالسماء، سيكون لها الدور الأكبر في بناء دولته العادلة. وبما أنّ هؤلاء يُمثّلون الحاضنة الإيمانية الخاصة للمشروع المهدوي، فلابدّ أن يمرُّوا بتربية خاصة تُهيئهم ليكونوا المثال المُصغر في مقدمة تلك الدولة، لجذب جميع الناس على وجه الأرض، للارتباط والولاء لتلك الدول الإلهية العادلة، ومن هنا تتضاعف سُنّة البلاء والتمحيص في هذه الأمة المُمهدة للمشروع الإلهي.

3 - السُّنن التاريخية في القرآن وارتباطها بسُنّة الابتلاء في المشروع المهدوي(الأنبياء السّابقون مُمهّدون)

ذكرنا من قبل، أنّ من السُّنن التاريخية في القرآن شُمول التمحيص الإلهي لقافلة البشرية، من آدم(عليه السلام) إلى زمان إمامنا الحجة(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولهذا اعتُبرت هذه المسيرة الطويلة بتمامها تمهيدًا للمشروع المهدوي ومحوره المُتمثل بإقامة الدولة العادلة، ومن الواضح أنّ هذه السُّنة - كما يُحدّثنا القرآن - جارية في الأنبياء السابقين ومُتجسدة في حياتهم، ومن هنا، نحاول البحث في أمرين مهمين في سُنّة الابتلاء في سيرة الأنبياء السابقين:

أ- السُّنن التاريخية للقرآن: سُنّة الابتلاء وتأثيرها في المشروع المهدوي

ونعني بالسُّنن التاريخية للقرآن، "القوانين والنواميس التي تتحكم في عملية القرآن"[1]، والسؤال المُهم هنا، هو هل كشف القرآن عن سُنن تاريخية، تحدث من خلالها لنا عن كيفية إجراء سُنّة الابتلاء في تاريخ الأنبياء؟ وهل يمكن أن ننتزع تلك القوانين الحاكمة في سنة الابتلاء تاريخيًّا؟ الجواب: نعم، لقد حدّثنا القرآن عن الأنبياء ومجتمعاتهم بما هُم أناس وبشر اعتياديون يخضعون لسُنن التاريخ وقوانينه التكوينية في التغيير، وكيف أنّ سُنّة الابتلاء تكون محكومة فيهم بعدّة قوانين حتمية، وهذا ما يُمكن بيانه في القوانين التالية[2]:

1. عملية التغيير الاجتماعي والسُّنن التاريخية الحاكمة فيها: تتمثل عملية التغيير الاجتماعي في حياة الأنبياء بمجموعة من القوانين والسُّنن التاريخية الحاكمة في تلك المجتمعات، من تلك السُّنن سُنّة التدافع التي أقرها القرآن وبيّنها في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحج:40]. فالقرآن يُبيّن لنا أنّ النّصر

1 - انظر: الصدر، المدرسة القرآنية، ص47.

2 - انتزعنا هذه القواعد من بحث السيد الشهيد محمد باقر الصدر(قده) في السنن القرآنية للتاريخ، مع إضافات وتعديلات تناسب المقام، فراجع: المدرسة القرآنية، ص51.

الظاهري كمشروع تغييري تاريخي، لن "يكون من نصيب المؤمنين، إلا مع توفر الشروط التاريخية لهذا النّصر بحسب منطق سُنن التاريخ التي وضعها الله سبحانه وتعالى كونيًّا لا تشريعيًّا، ومن هذه الشروط، التدافع الحاصل بتهيئة أسباب النّصر الظاهري من قبل المؤمنين. لهذا، نجد النصر قد يتجلّى في بعض المنعطفات التاريخية للأنبياء مع المؤمنين بهم بصورة مَددٍ غيبي خارج عن إرادتهم، كما تجلّى في طوفان نوح، وإغراق الكافرين، ونجاة المؤمنين مع نوح(عليه السلام). وقد يتجلّى بصورة حكومة يقوم بها الأنبياء، مع إعطاء القدرات اللازمة للمحافظة عليها، كما حدث في ملك داوود وسليمان ويوشع بن نون من قبلهما، وقد تنعكس بصورة نصرٍ عسكري جزئي لتوفُّر شروطه، كما في معركة بدر، التي انتصر المسلمون فيها وهم أذلّة، لتمسكهم بطاعة القيادة الحقّة، وتوجههم الكامل نحو الهدف الإلهي من الحرب، بينما قد تنعكس المسألة، فيكون النّصر من نصيب أعدائهم، كما تجلّى في معركة أُحد، حيث انهزم المسلمون. فالقرآن يحدثنا عن مداولة الأيام بينهم بحسب تلك الشروط الموضوعية للنصر فيقول: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[آل عمران:140]. كما يُبيّن أنّ جماعة المؤمنين إذا لم يتهيّؤوا لتوفير الظروف الموضوعية للنّصر، فإنهم مُهددون بالاستبدال أيضًا، وليس فقط بالهزيمة الظاهرية، يقول سبحانه وتعالى ﴿**إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[التوبة:39]. وهذا التغيرُّ يُمكن أن يحصل بالنسبة للمشروع المهدوي من خلال سُنة الابتلاء السارية في المجتمعات على طول التاريخ، إلى أن يصل الى مرحلة المجتمع المهدوي القادر على النهوض بالمشروع الإلهي.

2. الصيرورة الفردية والاجتماعية وتأثيرها في سُنن التاريخ: يُؤكّد لنا القرآن الكريم وُجود صيرورة للفرد، مرتبطة بحتمية البلاءات التي يتعرض لها في حياته، ومدى تحمله لها وثباته في معسكر الحق، كذلك يُبين لنا صيرورة للمجتمعات والأمم، ترتبط بكيانهم الاجتماعي ومدى تفاعله مع المشروع الإصلاحي للمهدوية الحقّة، ولهذا يحدثنا القرآن عن أجل للفرد وأجل للأمة، يقول تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا**

﴿يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف:34]. فالقرآن يُسند الأجل في هذه الآية للأمة، ويُبين أنّ هذا الأجل حتمي لا يُمكن تغييره، لأنه يُمثل الحركة والحياة والموت، الذي تمرُّ به هذه الأمة، بوصفها مجموعة متفاعلة في ظلمها وعدلها، في سرّائها وضرّائها، ويُبيِّن القرآن – كذلك- أنّ ما يُصيب هذه الأمة من الآجال المكتوبة لها، سواء اتّصفت بالتعذيب والفناء أو بالسعادة والبقاء، له خصائص لا يُمكن تجاوزها، كعمومية السعادة والعذاب فيه، فالعذاب الدنيوي إذا نزل بأمّة لا يختص بالظالمين منها فقط، بل يعمُّ الصالحين المقصرين الذين لم يحركوا ساكنا نحو التغيير، كما حصل ذلك في بني إسرائيل، إذْ حكمت عليهم السُّنن التاريخية للبلاء بالتّيه والعذاب سنين مُتمادية، بسبب جماعة منهم انحرفوا عن الجادّة، ولم يُحرك الآخرون ساكنًا تُجاه انحرافهم. وهكذا، حينما يحلّ البلاء بالمسلمين، ويُصبح مثل يزيد بن معاوية خليفة عليهم، ولا يُحركون ساكنًا ولا يخرجون لنُصرة إمامهم الحق، فإنهم من الطبيعي سيُبتلون ببلاء عظيم ينتهي إلى أن تتحول الخلافة إلى قيصريّة وكسرويّة ومَلكية مستبدة، تُقاتل في صفّ أعداء الإسلام، وتعاونهم على إضعاف الإسلام ومشروع السّماء، حتى ينتهي الحال بهذه الأمة إلى أنْ لا تستحق أن يبقى معها قائدها في حالة حضور في ساحتها الاجتماعية الفاعلة في عملية التغيير، وهذه السُّنة عبرّ عنها القرآن بطريقة تُبيِّن مدى ثباتها وفاعليتها في حياة الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا﴾[الإسراء:76-77].

3. المحتوى الداخلي وتأثيره في عملية التغيير الاجتماعي: من الأمور الأساسية في عملية التغيير الاجتماعي الخاضعة لسُنة الابتلاء هو المحتوى الداخلي الشعوري لكلّ مجتمع من المجتمعات، ويتمثل هذا المحتوى في الفكر والإرادة في كل مجتمع من المجتمعات، إذْ بمُجرد تغيّر المحتوى الداخلي للمجتمعات، يتغيّر البناء العُلوي للمجتمع، أي تتغير النُّظم والأفكار وكل العلاقات القائمة في ذلك المجتمع بصورة تدريجية. فالعلاقة بين المحتوى الداخلي والبناء الفوقاني والتاريخي للمجتمعات، تمثل علاقة التبعيّة، وهي سُنّة من السُّنن لتاريخية التي تتأثر بعملية التمحيص والابتلاء، يقول

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد:11]. فالآية تُبيّن العلاقة القائمة بين المحتوى الداخلي والبناء العلوي للمجتمع، وهذا التغيُّر الداخلي أساس في عملية البناء المجتمعي للمشروع المهدوي، ولهذا، لابدّ من إخضاعه لعامل إلهي يُحفز الفكر والإرادة على التغيير العلوي في البناء الاجتماعي: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران:154].

4. الظواهر التاريخية وتأثير السُّنن التاريخية فيها: من الأمور المهمة أيضًا في السُّنن التاريخية، المساحة التي تستوعبها السُّنن التاريخية، فالساحة التاريخية تشتمل على جملة من الظواهر الكونية والطبيعية، ولكنها لا تتحكم إلا في ميدان خاص يُعبرّ عنه بالظواهر التاريخية، وهي ظواهر متميزة تميزاً نوعيًّا عن بقية الساحات الكونية، فهي تمثل نوع من العلاقة الغائية مع تلك الظواهر، بمعنى أنّ الظواهر التاريخية والحوادث التاريخية التي تمرّ بها الأمم، ستُمثل الفاعل لتلك الغايات التي تقع بإرادة تلك الأمم والمجتمعات. كما أنّ تلك الظواهر التاريخية تحتاج إلى أرضية اجتماعية صالحة لتحقيق تلك الغايات، فالعمل الذي يتحوّل إلى موج يتعدّى حدود العامل الفردي إلى المجتمع وامتداداته التاريخية، بحيث يُمثل المجتمع فيه الأرضية الصالحة والعلّة المادية لتطبيق تلك الأهداف للظاهرة التاريخية.

ب- أنواع المُثل العليا في القرآن

يُعتبر المثل الأعلى، المحور الأساس في عملية التغيير للمحتوى الداخلي في المجتمع(الفكر والإرادة)، والذي على أساسه يتبدّل البناء الفوقاني له (العلاقات والأنظمة والأفكار وتوابعها)، إذْ يُحدّد المحتوى الداخلي الغايات التي يتحرك على أساسها التاريخ من خلال سُنّة الابتلاء، وهذه الغايات التي تُحرك التاريخ يُحدّدها المثل الأعلى، فإنها جميعًا تنبثق عن وجهة نظر رئيسة لمُثل أعلى للجماعة البشرية، إذ المثل الأعلى هو الذي يُحدّد الغايات التفصيلية في حياة الجماعة البشرية، ومن خلالها تنبثق مجموعة من الغايات الفرعية والجزئية المُحركة لعجلة التاريخ الاجتماعي، وبقدر ما يكون المثل الأعلى للمجتمع صالحًا وعاليًّا ومُمتدًّا، تكون تلك الغايات صالحة وممتدة، وبقدر

ما يكون المثل الأعلى محدودًا ومنخفضًا في غاياته، تكون الغيات الجزئية المنبثقة عن غاياته في المجتمع محدودة ومنخفضة أيضًا، وهذه المُثل العليا التي تتبنّاها الجماعة البشرية على ثلاثة أقسام[1]:

1. المُثل العليا المُنخفضة: وهي المُثل التي تستمدُّ تصوراتها وغاياتها من الواقع نفسه الذي تعيشه الأمم والجماعات، ولهذا لا تستطيع التغيير في المستقبل، إذ المَثل الأعلى حينما يكون منتزعًا من واقع الجماعة بحُدودها وقُيودها وشُؤونها، فإنّه يُصبح حالة تكرارية موجبة لتجميد الواقع، وتحويلاً لهذا الواقع من حالة نسبية يُراد تغييرها إلى حالة مُطلقة لا يتصوّر الإنسان هدفًا وراءها، وبهذا يتحول التاريخ الى حالة تكرارية في التكوين الاجتماعي للإنسان، ومن هنا، تأتي سُنّة الابتلاء حتى تفصل المجتمع عن هذا المثل الأعلى الذي ساعد على تبلوره في المجتمع الألفة والعادة والتسلط الفرعوني على مرّ التاريخ، ولهذا يكون اعتراض الجماعة المُتمسكة به، بأنّ المثل الأعلى الجديد خلاف ما ألفوه من المُثل الأعلى، كما قال تعالى: ﴿**قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ**﴾[البقرة:170]. كما أنّ التسلُّط الفرعوني يُوجب إغماض عيون الأمة والجماعة وحبسها في إطار نظرته الخاصة، قال تعالى حاكياً قول فرعون: ﴿ **قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ**﴾[غافر:29].

2. المُثل العُليا المُشتقة من طموح محدود: وهو المَثل الأعلى المُشتق من تطلّع الأمة إلى المستقبل، فليس هذا المثل حالة تكرارية يعيشها المجتمع، بل عبارة عن تطلّع إلى المستقبل نحو الأبداع والتطوير، لكنه مثلٌ مُنتزع من رؤية مستقبلية محدودة، والأمر الخطير في هذا المثل الأعلى، أنّ الإنسان بمُقتضى محدوديته الذهنية، لا يستوعب برؤيته الطريق الطويل إلا النفحة المقيدة من المطلق، ولكنه يقوم بتحويل هذه الومضة المحدودة من النور التي يقبضها من ذلك المطلق، إلى هدف مطلق يتمثله في المَثل الأعلى المنتزع من طموحه، يُحوّلها إلى نور السماوات والأرض، وإشراق ذلك النور على وجه الأرض، فيقوم بتعميمه أفقيًّا وزمانيًّا حتى يملأ تمام أفق الحركة وزمانها به،

1 - انظر عن هذه الأقسام: الصدر، المدرسة القرآنية، ص. ص. 119-156. (بتلخيص وتصرف).

كما فعل الإنساني الأوروبي الحديث في بدايات عصر النهضة، حينما وضع الحرية مثلاً أعلى يدافع عنها ويُحاول تعميمها أفقيًّا على كل الشعوب والحضارات، حتى وصل بسبب ذلك إلى الهاوية.

3. المَثل الأعلى الحقيقي: وهو المُتمثل بحقيقة عُليَا قائمة بذاتها وتملأ مسيرة الإنسان ووعيه، وهو عبارة عن الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ**﴾[الانشقاق:6]. فالإنسانية بمجموعها تكدح نحو الله سبحانه وتعالى، بمعنى السّير المستمر بالمعاناة وبالجهد والمجاهدة، فالآية لا تقول: تعالوا إلى الله أو سيروا أو توبوا، بل تتحدث عن واقع ثابت وحقيقة قائمة، وهي أنّ كل سَيْر وتقدُّم للإنسان في مسيرته التاريخية الطويلة الأمد فهو تقدم نحو الله تعالى، بل حتى تلك المجتمعات التي تمسكت بالمُثل العُليا المنخفضة والمحدودة، وبالآلهة المصطنعة واستطاعت أنْ تُحقق لها سيراً وتقدمًا محدودًا في هذا الطريق الطويل، هي سائرة في الحقيقة نحو الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ**﴾[النور:39]. والوصول إلى الله سبحانه وتعالى وإن كان نهاية الطريق، لكنه ليس نهاية جغرافية واقعة في آخر الطريق فحسب، بل هو حقيقة موجودة على طول الطريق ومع السائر في الطريق، حتى ذلك الذي اتّخذ من المُثل العليا المُزيفة والمحدودة مثلا له، فإنه حينما يتوقّف ويجد أنها سرابٌ بقيعة يحسبه الظمئان ماءًا، فإنّه سيجد الله تعالى عنده، يُوفيه حسابه.لكن ماهو الفرق بين الحركتين؟ الفرق أنّ الحركة نحو المَثل الأعلى الحقيقي الذي هو الله، ستكون حركة مسؤولة وهادفة حقيقية، وتُحدث تغييراً كميًّا وكيفيًّا في تلك المسيرة، لأنّ ذلك المثل الأعلى الحقيقي (الله)، يمُثل حقيقة موضوعية منفصلة عن خيال الانسان واصطناعه، ولهذا يعطي للمسؤولية شرطها المنطقي من جهة وجود مسؤول، ومسؤول لديه حقيقي، بينما في تلك المُثل الخيالية والمصطنعة، والتي هي إفراز بشريّ لا غير، فإنها لن تصنع الشعور الموضوعي بالمسؤولية. نعم، قد تصنع قوانين وعادات وأخلاقًا، ولكنها كلها غطاء ظاهري، ولهذا كلما وجد الإنسان مجالاً للتحلُّل من هذه العادات والأخلاق والقوانين فسوف يتحلّل منها.

ت- تجسيد المُثل العليا الحقيقية في سُنّة الابتلاء

من الأمور المُهمة التي يُحاول القرآن التوصُّل إليها - من خلال عرض بلاءات الأنبياء وتمحيصهم في أممهم التي عاشوا فيها-، تجسيد الأسوة الحسنة الرابطة بين المُثل الأعلى الحقيقي وبين البشرية، ليُنتج عن ذلك تبنِّي البشرية لهذا المثل الأعلى، وهذا التبنِّي يتوقف على وجود رؤية واضحة فكريًّا وأيدولوجيًّا لهذا المثل الأعلى، وعلى طاقة روحية مستمدة من ذلك المثل الأعلى الحقيقي، وصلة موضوعية بين الإنسان وبين هذا المثل الأعلى، كما أنه يتوقف على دخول المجتمع في مرحلة الاختلاف التي تهدف إلى خلع المُثل العُليا المنخفضة والتكرارية والمحدودية المصطنعة، واستبدالها بالمثل الأعلى الحقيقي.

ومن هنا، تتولد الحاجة إلى الأسوة الحسنة لتحمُّل البلاءات في عملية التغيير وإدارة المعركة وحفظها من الانحراف، وهذه الأسوة تبلورت بصورة النبوة أوّلاً، ثم استمرّت بصورة الإمامة ثانيًّا، وستنتهي بصورة المشروع المهدوي المتمثل بإقامة الدولة العادلة ثالثًا، ومن هنا لابدّ أن تتمثل تلك الأسوة في عدة صفات تحقق الربط الموضوعي بين المجتمع والمثل الأعلى الحقيقي أي(الله) -عزّ وجل-:

1. الإيمان بالمَدد الغَيبي: من الصِّفات المهمة في المُنتظر الحقيقي، قضية الإيمان بالمَدد الغيبي من قبل الله تعالى لنُصرته، وقد تجلّت هذه الصفة كثيراً في شخصية الأنبياء جميعًا من جهة ارتباطهم بالله تعالى، وقد عرض القرآن الكريم لهذا أمثل مُتعدّدة، منها ما ورد في قصة موسى عليه السلام حينما أتبعهم فرعون إلى البحر فقال قومه لما رأوا فرعون وجنوده: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾[الشعراء:61]، فردَّ موسى عليهم مذكراً لهم بأنه مادام الله معهم فإنه سيهديهم إلى طريق النصر والخلاص: ﴿**قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأَخَرِينَ* وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ* إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[الشعراء: 62-67]. فهذه الآيات تحدثنا أنّ المدد الإلهي إنّما جاءهم من جهة إيمانهم بالحضور الإلهي، وأنّ الله تعالى هاديهم وناصرهم، ولهذا جعل القرآن هذه القصة من الآيات الواضحة على لزوم التأسِّي بالقائد، لجهة إيمانهم بالمدد الغيبي، وأن الله تعالى حاضر ناظرٌ في الميدان، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. ونقتصر على

هذه القصة، وإلاّ ففي قَصص الأنبياء الآخرين نموذج واضحة على هذا العنصر المذكور.

2. الصّبر والتحمُّل في سبيل المشروع الإلهي: من الصفات الأخرى التي يعرضها القرآن في الأسوة الحسنة - والمهمة في المُنتظر الحقيقي للمشروع المهدوي- قضية الصّبر عند البلاء، وتأثيرها في مجيء الفرج الإلهي، مسألة الصّبر وحُسنه عند البلاء. فقد لا نعدو التمثيل في المقام بما حصل لنبي الله أيوب﵇ حينما ابتلاه الله تعالى، وسلّط الشيطان على بدنه وعياله وماله، فصبر على البلاء حتى رفعه الله تعالى عنه، وقد مدحه الله تعالى على ذلك في كتابه فقال ﴿**وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**﴾[ص:44].

3. التوكل على الله تعالى والانقطاع عن الأسباب الظاهرية: ومن الأوصاف المُهمة التي يعرضها القرآن للأسوة الحسنة عند نزول البلاء، وقارُها وتوكُّلها على الله تعالى، وعدم النظر للأسباب الظاهرية التي تُظهر غلبة الباطل والظلم وضعف الحق ووحدته، فقد تُزلزَل قدم المهدوي المُنتظر في البلاءات، نتيجة لما يراه من قدرة الباطل وقوته ووحدة الحق وقلّة الناصر والمُعين، فينسى ربّه ومدده الإلهي، ويغفل عن قدرته غير المتناهية، فينقطع عن التوكل به، مع أنّ على المُؤمن أن يتوكل على ربّه في الشدّة والرخاء.

وفي المقام، تُعتبر قضية إبراهيم﵇ من القضايا المهمة في بيان التوكل والتسليم لله تعالى في عمله، إذ بعد أن ﴿**قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ**﴾[الأنبياء:68]. سلّم إبراهيم أمره لله تعالى وتوكّل على ربه تبارك وتعالى، ولم يطلب حتى من جبرئيل العون والمَدد، إذْ ورد أنه لما "أَمَرَ نمْرُود بجَمْع الْحَطَب.. وأَوْقَدَ النَّارَ فَعَجَزُوا عَنْ رَمْي إِبْرَاهِيمَ، فَعَمِلَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْمَنْجَنِيقَ فَرُمِيَ به فَتَلَقَّاهُ جَبْرَئِيلُ في الْهَوَاء، فَقَالَ هَلْ لَكَ منْ حَاجَةٍ فَقَالَ أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ، فَاسْتَقْبَلَهُ ميكَائِيلُ فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ أَخْمَدْتُ النَّارَ فَإِنَّ خَزَائِنَ الْأَمْطَار وَ الْمِيَاه بيَدي، فَقَالَ: لاَ أُريدُ وَأَتَاهُ مَلَكُ الرِّيح، فَقَالَ لَوْ شِئْتَ طَيَّرْتُ النَّارَ، قَالَ: لاَ أُريدُ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: فَاسْأَل اللَّهَ فَقَالَ حَسْبِي منْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بحَالِي، "فأنجاه الله تعالى، إذ قال: ﴿**قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ**﴾[الأنبياء:68]. فمقامُ التوكل من المقامات التي تُوصل العبد إلى أعلى مراتب التسليم والتوحيد الأفعالي المطلوب في المشروع المهدوي.

ثالثًا: فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي.. قراءة حديثية

1 - النظرية الرّوائية لفلسفة الابتلاء

تُبيّن الروايات أنّ سُنّة البلاء من السّنن الجارية في الأمم السابقة وأنبيائهم، كما هي جارية في الأمة الإسلامية مع نبيها وأوصيائه بالحق، وقد بيّنت الروايات لهذه البلاء عدّة غايات كرفع الدرجات وبناء المجتمع وتربيته وتطويره وربطه بالأسوة الحسنة المتمثلة بالنبي الأكرم وأهل البيت عليهم السلام وتمحيص المؤمنين لتمييز الصادق عن غيره، فعن «مصعب بن سعد عن أبيه قال: قُلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتدّ بلاه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا زياد إنّ الله يتعهّد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعهّد الغائب أهله بالهدية، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض»[2]، وقد يكون البلاء بالأمراض والعاهات وتلف الأهل والأولاد، وجار سوء، وتنغيصاً للذات، أو تسليطًا للحاكم الظالم، ليُقلع العبد عن معصيته ويتذكر المُتذكر آخرته، ويستدرّ المؤمن المُستغفر رزق ربه ورحمته. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ ورَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً**﴾[نوح: 10-11-12]، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ»[3]. وقد يكون البلاء تمحيصاً للذنوب ورفعًا للدرجات، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم، لتسلم بها طاعاتهم، ويستحقُّوا عليها ثوابها»[4].

1 - الطيالسي، مسند أبي داوود، ج1 ص174، ح: 212.
2 - ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، كتاب التمحيص، ص398.
3 - الشريف الرضي، نهج البلاغة(صبحي الصالح)، ص199.
4 - ابن شعبة الحراني، تحف العقول، كتاب التمحيص، ص391.

2 - المنهج الرّوائي في عرض المشروع المهدوي

تعرضت الروايات بصورة مستفيضة - بل متواترة معنويًّا وإجماليًّا - لقضية الإمام المهدي عليه السلام منذ ولادته وما أُحيط من تهديدات للسلطة الحاكمة وما اتّخذه من نظام وهرمية في إدارة شيعته ومشروعه الإلهي في بناء الدولة العادلة. وقد تعرّضت كتب الحديث والتاريخ للروايات المتعلقة بذلك، سنُسلط الضوء على المنهج الذي اتّبعته الروايات وكتب التاريخ في عرض هذا المشروع:

أ- ترسيخ فكرة القيادة المهدوية في وعي الأمة ووِجدانها

من الأمور المهمة التي حاولت الأحاديث النبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام ترسيخها والتوجيه لها، هي عملية زرع فكرة القيادة السماوية للمشروع المهدوي، فالمهدي ليس مجرد أسطورة يحاول الفكر الإنساني خلقها وترسيخها في وعي المجتمعات ليزرع الأمل فيها، بل هي حقيقة تاريخية تحدثت عنها مئات الأحاديث والروايات وبأساليب متعددة، إذ المُراجع للنصوص الروائية يجدها تُبين وبصراحة أنّ الأئمة والخلفاء إثنا عشر خليفة[1]، وأنّ الأخير منهم هو مهدي هذه الأمة، وأنّه من أهل البيت[2]، ومن وُلد فاطمة[3]، ومن ذرية الحسين عليه السلام[4]، وأنّه التاسع من وُلد الحسين عليه السلام[5]. فكل هذه الروايات تُجسد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد بلغت تلك الروايات درجة كبيرة من التواتر والانتشار، على الرغم من تحفظ الأئمة عليهم السلام واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام، وقاية وحفظاً للخَلَف الصالح من الاغتيال أو الإجهاز على حياته.

ب- جدليّة التعريف بالقيادة مع حفظها من السلطات الظالمة

من الأمور التي تعرضت لها قيادة أهل البيت عليهم السلام للمشروع الإلهي، هو كيفية المحافظة على

1 - انظر: الكلبايكاني، منتخب الأثر في الامام الثاني عشر، ج1، ص 19-254.
2 - انظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج8، ص 678.
3 - انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص267.
4 - انظر: ابن حماد المروزي، كتاب الفتن، ص 229.
5 - انظر: الخزاز، كفاية الأثر، ص250.

القائد الإلهي لهذا المشروع، مع التعريف به، حتى لا تتحوّل القضية إلى حالة من الشك الموجب لإنكار وجوده، وقد حاول الإمام العسكري عليه السلام أن يقوم بعدة خطوات للجمع بين التعريف به مع حفظه من التعرض للقتل. فمن جهة نجد الإمام عجل الله فرجه الشريف يجعل لأُمِّ الإمام عليه السلام أسماء متعددة لأجل أن يلتبس الأمر على السلطات العباسية، ويُخفي ولادته حتى عن خادمه الذي يسكن في داره، إلى أن بلغ الإمام آوان وفاته، فيُعلن عن الإمام بعده، ويعرِّف شخصه لإصحابه، في مجلس يغصُّ بالخُلّص منهم، كأمثال محمد بن عثمان بن سعيد العمري، ومعاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب وغيرهم من خُلَّص أصحابه ومُريديه، فيقول لهم: "هَذَا صَاحِبُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ وَهُوَ الْقَائِمُ الَّذِي تَمْتَدُّ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ بِالانْتِظَارِ فَإِذَا امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ جَوْراً وَظُلْماً خَرَجَ فَمَلَأَهَا قِسْطاً وَعَدْلاً"[1].

ث- تمهيد الأمة لتحمُّل غيبة القائد

ومن الأمور المُهمة التي قام بها الإمام عليه السلام وعرضتها الروايات، التمهيد النفسي للأمة لتتحمّل غياب القائم مع المحافظة على الإيمان به، لأنّ فَقْد الإمام بصورة تدريجية قد يُوجب ارتداد القواعد، وتزلزل إيمانها به، ولهذا سُنة الابتلاء التي مرّ بها الإمام العسكري عليه السلام أوجبت بصورة طبيعية تكوين نظام الوكالة والنيابة الخاصة، التي شُرِّعت من زمان الإمام الهادي والعسكري(عليهما السلام)، ثم استمرت إلى زمان الإمام الحجة المنتظر.

كما كان التمهيد للغيبة الكبرى، بنفس نظام النيابة، حيث ولّد اللقاء المباشر مع الإمام عليه السلام حالة من التهيؤ النفسي الطبيعي لتحمّل الغيبة الكبرى، والرجوع إلى ما أسّسه الأئمة عليهم السلام في أزمنة متقدمة كما في زمان الإمام الباقر والصادق عليهما السلام من إرجاع شيعتهم إلى العلماء، مع حاجتهم إلى المراجعة والسؤال وعدم حضورهم لدى الإمام. هذه الحاجة التي تضاعفت بعد غيبته الصغرى، وصارت بديلاً طبيعيًّا عن غَيبته في زمان الغيبة الكبرى في الاستفتاء والرجوع، مع أنّ للإمام عجل الله فرجه الشريف آثار وثمرات لا يُمكن إنكارها حتى في زمان غيبته عليه السلام، عبرّ عنها النبي الأكرم حينما سأله جابر بن عبد الله الأنصاري عن وجه الانتفاع بالإمام الغائب فقال صلى الله عليه وآله: «إِي وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ، إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ وَ يَنْتَفِعُونَ

1 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2، ص431، ح: 8.

بِوَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانْتِفَاعِ النَّاسِ بِالشَّمْسِ وَإِنْ تَجَلَّلَهَا سَحَابٌ»[1].

ج- حركيّة الانتظار في بناء القاعدة

ومن الأمور التي ركّزت عليها الروايات في بيان المشروع المهدوي، مسألة الانتظار، حيث قال النبي الأكرمﷺ: «إنّ "أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزوجل»[2]. وقد ذكرنا سابقاً، أنّ الانتظار "مفهوم إسلامي وقيمة حضارية يدخل في تكوين عقليتنا وأسلوب تفكيرنا ومنهج حياتنا ورؤيتنا للمستقبل بشكل فاعل ومؤثر ، بل يدخل مفهوم الانتظار في صياغة عقليتنا السياسية والحركية، وللانتظار نحوين أساسيين في الأمة:

1. الانتظار الإنقاذي: بمعنى أنّ الإنسان الذي ليس بوسعه القيام بالتغيير وعنده نوع من الانهزام الداخلي، فإن الانتظار يُولد في داخله حالة الأمل، ويبعث في نفسه نوعًا من المقاومة، كمقاومة الغريق الذي ينتظر فرق الإنقاذ، فإنه لا يستسلم للغرق، بل يُحاول أن يستجمع قواه ويُقاوم التيارات المائية التي تُريد إغراقه، إلى أن يصل المدد الإنساني من فرق الإنقاذ، فالانتظار للإمامعجل الله فرجه الشريف يُولِّد فينا حالة من الأمل التي تخترق الظلمات التي تكتنف حياة الإنسان، وتبعث فيه المقاومة والصبر إلى أن يأتي المدَد الغَيبي.

2. الانتظار الحَركي: في هذا النوع من الانتظار، يُولد عند الإنسان حالة من البحث عن العلاج المعجل للمدد الإلهي، إذ من الممكن أن يُعجّل له اليُمْن بظهور إمامه وبناء المشروع المهدوي من خلال التهيئة والإعداد له، فالأمل في هذا النوع من الانتظار يمكّن الإنسان من اختراق الحاضر ورؤية المستقبل، كما يُولد فيه مقاومة تمُكِّنه من مواصلة الصمود مع تهيئة أسباب النصر للموعود القادم، كما أنه يُولد نوعًا من الحركة، تُحقّق الخلاص والنجاة والقوة والغنى والكفاءة"[3].

1 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج1،ص 253.
2 - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج2،ص 644، ح: 3.
3 - مجموعة مؤلفين، العدل المنتظر، ص. ص. 60-62 (بتصرف).

3 - فلسفة الابتلاء في المشروع المهدوي ضمن المنهج الروائي

من هنا، يأتي دور الابتلاء كحالة تُفعِّل في الأمة حالة الانتظار الحركي، وتُولّد من خلاله القدرة على البناء، لأن التمحيص بالبلاءات كما ورد في الروايات ترفع من استعداد الانسان ودرجاته وكفاءته لمجي القائد الموعود، كما إنّها تُحوِّل مفهوم الانتظار من حالة الرّتابة السلبية التي يعيشها البعض تجاه المواقف الدينية، وتضطره للتفكر في موقفه وموقعيته من تلك الأحداث الدائرة حوله. كما أنّ الابتلاء بالمشروع المهدوي يُولّد في النفس حالة من الخوف الإيجابي من الانحراف، إذ مادامت السُّنن التاريخية للابتلاء كسُنّة التدافع والاستبدال وغيرها، تُحدّد الفئة الكفُؤة التي تستحقُّ أن تكون في جبهة الحق، ولهذا نجد الروايات حينما تعرض لمسألة الابتلاء في القضية المهدوية فإنها تعرضها ضمن النماذج التالية:

أ- مَنْ ينتظر مَنْ ؟

من الأمور الواضحة في عملية الانتظار، أن يكون المُنتظر هو الذي يتطلّع للفرج ويُحاول أن يُهيئ تمام العناصر المطلوبة لقدومه، والروايات وإن عبرّت عن عملية التغيير التي سيقوم بها الإمام الحجة، بكونه "سيملأ الأرض عدلا كما مُلئت ظُلمًا وجورًا"، ولكنها لا تعني من ذلك أنّ الانتظار للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف مُجرد حالة من الرصد لعملية انتشار الظلم والجَوْر في الأرض، بل تستبطن ظاهرة الانتظار حالة من الحركة والتهيؤ لعملية التغيير الكبرى، فإنّ الظهور الأكبر للإمام يحتاج إلى ظهور أصغر في نفوس المؤمنين به، من جهة تحقُّق الأنصار الذي يُوطِّئون الأرض ويمُهدونها لثورته المباركة. ومن هنا يتحوّل الانتظار من حالة من السكون والرّصد إلى حالة من الحركة والاستعداد.

وهنا يأتي دور الابتلاء ليكون المُحرك القوي لتفجير الطاقات وتحرير الاستعدادات اللازمة لقدوم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف. فدولة العدل الإلهي والحكومة الإلهية الواحدة للعالم تحتاج إلى إعداد خاص للكفاءات التي تقنع العالم بصلاحيتها لإدارته وتحول المعركة بين المستكبرين والمُستضعفين إلى حرب بين من هو الوارث الحقيقي المُستحق لخلافة الأرض، وبين المُتطفل المُفسد الذي أُعطي فرصته فلم يُولد من قيادته إلا إفساد الحرث والنسل.

ب- ائتلاف القُلوب مرهون بالبلاء

ومن الأمور التي أكّدت عليها الروايات، كسبب لتأخُّر اليُمن بقيام المشروع المهدوي، هو قضية ائتلاف القلوب واجتماعها على الحق، فالإنسان الذي ينتظر الإمام عليه السلام عليه أن يُحسّ بذلك الجسد الإيماني والإسلامي الكبير الذي يُحيط به، إذ لا مكان للأنانية والكراهية والتفرق القلبي في مشروع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ورد في رسالته عليه السلام للشيخ المفيد: «وَإِنْ كُنَّا ثَاوِينَ بِمَكَانِنَا النَّائِي عَنْ مَسَاكِنِ الظَّالِمِينَ، حَسَبَ الَّذِي أَرَانَاهُ اللَّهُ لَنَا مِنَ الصَّلَاحِ وَلِشِيعَتِنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مَا دَامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيَا لِلْفَاسِقِينَ، فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْماً بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثِيرٌ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَإِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ، وَلَوْ أَنَ أَشْيَاعَنَا [وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ] عَلَى اجْتِمَاعٍ الْقُلُوبِ لَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمُ الْيُمْنُ بِلِقَائِنَا، فَمَا يُحْبَسُ عَنْهُمْ مُشَاهَدَتُنَا إِلَّا لِمَا يَتَّصِلُ بِنَا مِمَّا نَكْرَهُهُ»[1]. فالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يُبين أنّ تأخُّر اليُمن باللقاء، هو بسبب افتراق قلوب شيعته وعدم اجتماعها، ومن هنا، تأتي سُنّة البلاء لتقوِّم هذا الاختلاف، وتجمع القلوب على طلب اليُمن بلقائه عجل الله تعالى فرجه الشريف عملاً بوصيّته المُباركة.

ت- تحرير الطاقات

من الأمور المُهمة التي تترتّب على سُنّة البلاء في المشروع المهدوي، تفجير الطاقات التي تحدثنا عنها في المقدمات، وذلك لأنّ البلاءات المُتعدّدة تجعل المؤمن بالمشروع الإلهي يُصحّح علاقته مع أخيه الإنسان، وعلاقته مع الطبيعة والمجتمع الذي يحيط به. فعلاقته مع الطبيعة التي سخرها الله تعالى تحت سلطانه تُوجب له الطغيان والخروج عن الصراط، فيأتي البلاء ليُصحِّح المعادلة ويُرجعه الى طريق الفلاح، كما أن الطغيان على إخوانه ومجتمعه أو الإهمال لهم وعدم الاهتمام ببنائهم، يُوجب حالة من اللامبالاة تجاههم والأنانية في التعامل معهم، فيأتي دور البلاء ليُمحِّص المؤمنين ويرجعهم إلى نِصاب المشروع الإلهي المتمثل بالدولة المهدوية العادلة، كما

1 - الروانديّ، الخرائج والجرائح، ج2 ص 902.

يفرز الصادقين من الكاذبين في دعواهم النُّصرة له، وما حديث الرايات اليمانية والخراسانية التي تنطلق لنصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف إلا إعلانًا واضحًا لتفجير الطاقات وتهيئتها لقدومه المبارك.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

1 - النتائج

خرجنا من هذا البحث بعدّة نتائج مهمة هي:

- إنّ الابتلاء يُشكّل سُنّة إلهية جارية في الأمم السابقة وفي هذه الأمة، تمهيداً لتحقيق المشروع المهدوي المُبارك.
- إنّ المشروع المهدوي يتقوَّم بعدَّة أبعاد، كالبُعد النفسي والإيماني والأخلاقي والاجتماعي في القضية المهدوية.
- تقوم الرؤية القرآنية للمشروع المهدوي على أساس ركائز مهمة، محورها التوحيد وإبراز القدوة الصالحة في تحمُّل البلاء لإجل الدولة العادلة والوراثة الصالحة للأرض.
- إنّ الرُّؤية الحديثية للمشروع المهدوي، هي الأخرى تقوم على أُسس ومرتكزات تتمحور حول بيان معالم المشروع المهدوي وأهدافه وبيان وظائف المنتظرين في زمان الغَيبة لذلك المشروع، وعرض الملاحم والفتن التي سيتعرّضون لها قُبيل انطلاق المشروع، وفي عصره لتحقُّق التهيُّؤ اللازم لهم من خلال ذلك.
- اهتمّ القرآن بعرض السُّنن التاريخية الحاكمة على سُنة الابتلاء وبيان الارتباط الوثيق بينها، وبيّن توليد القاعدة الواعية والمرتبطة بالمَثل الأعلى الحقيقي المتمثل بالحق تبارك

وتعالى، من خلال القدوة والأسوة الصالحة لهذا المثل الأعلى، كما أنّها بيّنت كيفية تجسيد ذلك المثل الأعلى في المشروع المهدوي، ومدى تأثير سُنّة البلاء في تجسيده.

- اتّضح أنّ سُنّة الابتلاء هي الأساس في تحقيق الانتظار الحركي، واجتماع القُلوب للقاعدة المؤمنة بالمشروع المهدوي، والمُوجبة لتحرير الطاقات في سبيل التهيؤ للمشروع الإلهي المُتمثل بدولة العدل الإلهي.

2 - التوصيات

تُوجد في المقام عدّة توصيات خرجنا بها من خلال مفاصل هذا البحث، وهي:

- لابدّ من عمل دراسات خاصة عن السُنن الكونية والتاريخية الحاكمة في فلسفة الابتلاء في القضية المهدوية، لاستيعاب كل النواحي المهمة فيها، لما لها من تأثير كبير في إعداد القادة والقاعدة المُمهدة لدولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

- لابدّ من التركيز على بيان شكل الدولة التي سيحكمها الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومستوى الكفاءات التي يحتاجها في إدارته حتى تتمّ التهيئة لها في زمان انتظاره، مع بُلوغنا إلى المعالم الواضحة لظهوره المبارك إن شاء الله تعالى.

- من الأبحاث المُهمة التي تحتاج إلى استيعاب وبيان، نذكر: بيان الأبعاد الإنسانية في المشروع المهدوي لتمهيد الدعوة له في ربوع المعمورة، فإنّ كثيراً من الشعوب، وخصوصًا الغربية منها، تجهل النموذج الحقيقي لدولة الوراثة الإلهية ولا تفهمه، إلا من خلال المُثل المنخفضة والمحدودة المصطنعة التي يُروّج لها الغرب، ويُحاول تصديرها إلى مجتمعاتنا الإسلامية كذلك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

■ الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، تصدرها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط4 - 1995م.

■ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، دفتر تبليغات إسلامي، حوزه علمية قم، قم- إيران، ط1 - 1404هـ.

■ البحراني، هاشم بن سليمان، المحجة فيما نزل في القائم الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحقيق: محمد منير الميلاني، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 - 1992م.

■ الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ذوي القربى، قم- إيران، ط-3 1429هـ.

■ الخزاز ، الرازي، علي بن محمد، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: حسين الكوهكمري، عبد اللطيف، منشورات بيدار، قم- إيران، ط1 - 1401هـ.

■ الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، الدار الشامية- دار العلم، لبنان- سورية، ط1 - 1412هـ.

■ الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم- إيران، ط1 - لسنة 1409هـ.

■ الساعدي، نور مهدي كاظم، وراثة الأرض في القرآن الكريم والكتب السماوية: دراسة وتحليل، رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه/ جامعة الكوفة، إشراف: أ.م. د. ستار جبر حمود

الأعرجي، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي(عج)، ط1 - 2012م.

■ الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تعليق صبحي الصالح، دار هجرت، قم- إيران، ط1 - 1414هـ.

■ الشيخ الرئيس ، عباس، موعود الأمم، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم- إيران، ط1 - 2008م.

■ الصالح، صبحي ، نهج البلاغة، مؤسسة هجرت، قم- إيران، ط1 - 1414هـ.

■ الصدر ، محمد باقر، المدرسة القرآنية، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم-إيران، ط1 - 1421هـ.

■ الصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الدار الإسلامية، طهران، ط2 - 1395هـ.

■ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، صفات الشيعة، مطبعة الأعلمي، طهران- إيران، ط-1 1362 هـ.ش.

■ الصنيع، صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف، التدين والصحة النفسية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1 - 2000م.

■ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مكتب النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، قم- إيران، ط-5 1417هـ.

■ الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1 - 1994م.

■ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد جواد البلاغي، انتشارات ناصر خسرو، طهران، ط3 - 1372هـ. ش.

■ طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، المسيح المنتظر ونهاية العالم، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، ط4 - 2002م.

■ الطيالسي، أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داود، دار الهجرة، مصر، ط1 - 1999م.

■ العسكري، أبو هلال الجزائري، نور الدين، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم- إيران، ط7 - 1436هـ .ق.

■ العسكري، نجم الدين الشريف، الإمام المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والإمامية، منشورات العتبة العلوية - شعبة إحياء التراث والتحقيق، النجف الأشرف- العراق، ط1 - 2015م.

■ العياشي، محمود بن مسعود، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم رسولي محلاتي، المطبعة العلمية - طهران، ط1 - 1380 هـ. ش.

■ القمي، علي بن أبراهيم، تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب، قم- إيران، ط3 - 1363هـ. ش.

■ قيدارة، الأسعد بن علي، النظرية المهدوية في فلسفة التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف – العراق، ط1 - 1432هـ.

■ الكلبايكاني، لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر(ع)، مطبعة كوثر، مركز نشر وتوزيع الآثار العلمية في مكتب آية الله الصافي الكلبايكاني، قم- إيران، ط3 - 1430هـ.

■ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، تهران-إيران، ط4 - 1407هـ.

■ الكوفي، ابن أبي شيبة، الكتاب المُصنّف في الأحاديث والآثار، تقديم وضبط : كمال يوسف

الحوت، دار التاج، بيروت، ط1 - 1989م.

■ الليثي، الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تصحيح: حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث، قم- إيران، ط1 - 1376 هـ. ش.

■ مجموعة باحثين، العدل المنتظر مقالات مهدوية، مجلة بقية الله، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط1 - 2022م.

■ المروزي، نعيم بن حماد، كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، ط1 - 1412هـ.

■ ناجح حسين ، نور ، المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، تقديم ومراجعة: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، نشر : مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، النجف الأشرف- العراق، ط1 - 1440هـ .

■ النعماني، ابن أبي زينب، محمد بن إبراهيم، الغَيبة للنعماني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات الصدوق، طهران، ط1 - 1397هـ.